السلام مع النفس والكون

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

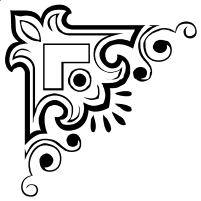

السَّلَامُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى

فَـ«**إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ-**»(١)(*)، **قَالَ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

«هُوَ اللهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا بِلَا مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافَعَةٍ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، الَّذِي سَلِمَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، الْمُصَدِّقُ رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ بِمَا تُرْسِلُهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، الرَّقِيبُ عَلَىٰ كُلِّ خَلْقِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْجَبَّارُ الَّذِي قَهَرَ جَمِيعَ الْعِبَادِ، وَأَذْعَنَ لَهُ سَائِرُ الْخَلْقِ، الْمُتَكَبِّرُ الَّذِي لَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَالْعَظَمَةُ، تَنَزَّهَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ كُلِّ مَا يُشْرِكُونَهُ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٩)، والبزار (١٠٩٩)، والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤) (١٦٠٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٤٠٠٣).

(٣) «**التفسير الميسر**» (ص٥٤٨).

«وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»(١).

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ فِي «مُعْجَمِ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ»(٢): «اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- هُوَ السَّلَامُ؛ لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَالْفَنَاءِ».

وَمِثْلُهُ لِابْنِ مَنْظُورٍ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ»(٣): «وَالسَّلَامُ اللهُ ﷻ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ؛ لِسَلَامَتِهِ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ وَالْفَنَاءِ؛ حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ سَلِمَ مِمَّا يَلْحَقُ الْغَيْرَ مِنْ آفَاتِ الْغِيَرِ وَالْفَنَاءِ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي تَفْنَىٰ الْخَلْقُ وَلَا يَفْنَىٰ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

السَّلَامُ: هُوَ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَآفَةٍ وَنَقْصٍ.

وَمَجْمُوعُ مَا يُنَزَّهُ عَنْهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَيْئَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِي صِفَاتِ كَمَالِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ الْمُنْتَهَىٰ فِي كُلِّ صِفَةِ كَمَالٍ، فَهُوَ مَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الْعِلْمِ، وَكَمَالِ الْقُدْرَةِ، مُنَزَّهٌ عَمَّا يُنَافِي ذَلِكَ مِنَ النِّسْيَانِ وَالْغَفْلَةِ، وَأَنْ يَعْزُبَ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ، وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ وَاللُّغُوبِ، وَمَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الْحَيَاةِ وَالْقَيُّومِيَّةِ، مُنَزَّهٌ عَنْ ضِدِّهَا مِنَ الْمَوْتِ وَالسِّنَةِ وَالنَّوْمِ، وَمَوْصُوفٌ

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩١) عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**».

(٢) «**مُعْجَمِ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ**» (٣/ ٩٠).

(٣) «**لِسَانِ الْعَرَبِ**» (١٢/ ٢٩٠).

بِالْعَدْلِ وَالْغِنَىٰ التَّامِّ، مُنَزَّهٌ عَنِ الظُّلْمِ وَالْحَاجَةِ إِلَىٰ أَحَدٍ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَمَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ، مُنَزَّهٌ عَمَّا يُضَادُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَبَثِ وَالسَّفَهِ، وَأَنْ يَفْعَلَ أَوْ يَشْرَعَ مَا يُنَافِي الْحِكْمَةَ وَالرَّحْمَةَ.

وَهَكَذَا جَمِيعُ صِفَاتِهِ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِيهَا وَيُضَادُّهَا.

الثَّانِي: أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ مُمَاثَلَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِدٌّ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ فَالْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ وَشَرُفَتْ وَبَلَغَتِ الْمُنْتَهَىٰ الَّذِي يَلِيقُ بِهَا مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكَمَالِ اللَّائِقِ بِهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يُقَارِبُ أَوْ يُشَابِهُ الْبَارِيَ، بَلْ جَمِيعُ أَوْصَافِهَا تَضْمَحِلُّ إِذَا نُسِبَتْ إِلَىٰ صِفَاتِ بَارِيهَا وَخَالِقِهَا؛ بَلْ جَمِيعُ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي وَالنُّعُوتِ وَالْكَمَالِ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فِيهَا الْعُقُولَ، وَالسَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَالْقُوَىٰ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهَا وَأَلْهَمَهَا، وَهُوَ الَّذِي نَمَّاهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَكَمَّلَهَا، قَالَتِ الرُّسُلُ وَالْمَلَائِكَةُ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ يَقُولُ اللهُ -تَعَالَىٰ-: «**يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ..**»[(١)]. إِلَىٰ آخِرِ الْحَدِيثِ.

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كتاب البر والصلة: بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، (٢٥٧٧)، من طريق: سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما روىٰ عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي،...**» الحديث، إلا أن فيه: «**وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**»، بدلا من «وَأَنَا الغفورُ الرحيم»، وفيه: «**أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا**»، بدلا من «أُحْصِيهَا عليكُمْ».
=

فَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِي صِفَاتِ الْمَجْدِ وَالْعَظَمَةِ وَالْكَمَالِ، وَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنِ الضِّدِّ وَالنِّدِّ وَالْكُفْؤِ وَالْأَمْثَالِ، وَذَلِكَ دَاخِلٌ فِي اسْمِهِ (الْقُدُّوسُ السَّلَامُ).(*).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمَّا كَانَ السَّلَامُ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهُوَ اسْمُ مَصْدَرٍ فِي الْأَصْلِ كَالْكَلَامِ وَالْعَطَاءِ بِمَعْنَىٰ السَّلَامَةِ؛ كَانَ الرَّبُّ -تَعَالَىٰ- أَحَقَّ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعَيْبٍ وَنَقْصٍ وَذَمٍّ؛ فَإِنَّ لَهُ الْكَمَالَ الْمُطْلَقَ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَكَمَالُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ، وَالسَّلَامُ يَتَضَمَّنُ سَلَامَةَ أَفْعَالِهِ مِنَ الْعَبَثِ وَالظُّلْمِ وَخِلَافِ الْحِكْمَةِ، وَسَلَامَةُ صِفَاتِهِ مِنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَسَلَامَةُ ذَاتِهِ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، وَسَلَامَةُ أَسْمَائِهِ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ.

فَاسْمُ (السَّلَامِ) يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ لَهُ، وَسَلْبَ جَمِيعِ النَّقَائِصِ عَنْهُ، وَهَذَا مَعْنَىٰ (سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ)، وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَإِفْرَادَهُ بِالتَّعْظِيمِ، وَهَذَا مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ)، فَانْتَظَمَ اسْمُ (السَّلَامِ) الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ الَّتِي يُثْنَىٰ بِهَا عَلَىٰ الرَّبِّ -جَلَّ جَلَالُهُ-.

وَمِنْ بَعْضِ تَفَاصِيلِ ذَلِكَ: أَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي سَلِمَتْ حَيَاتُهُ مِنَ الْمَوْتِ وَالسِّنَةِ وَالنَّوْمِ وَالتَّغَيُّرِ، الْقَادِرُ الَّذِي سَلِمَتْ قُدْرَتُهُ مِنَ اللُّغُوبِ وَالتَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ وَالْعَجْزِ عَمَّا يُرِيدُ.

=

وفي رواية له: «**إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَىٰ نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَىٰ عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ فَتْحِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)، الْخَمِيسُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٤هـ| ١-٨-٢٠١٣م.

الْعَلِيمُ الَّذِي سَلِمَ عِلْمُهُ أَنْ يَعْزُبَ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، أَوْ يَغِيبُ عَنْهُ مَعْلُومٌ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِهِ عَلَىٰ هَذَا، فَرِضَاهُ -سُبْحَانَهُ- سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهُ الْغَضَبُ، وَحِلْمُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهُ الِانْتِقَامُ، وَإِرَادَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهَا الْإِكْرَاهُ، وَقُدْرَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهَا الْعَجْزُ، وَمَشِيئَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهَا خِلَافُ مُقْتَضَاهَا، وَكَلَامُهُ سَلَامٌ أَنْ يَعْرِضَ لَهُ كَذِبٌ أَوْ ظُلْمٌ، بَلْ تَمَّتْ كَلِمَاتُهُ صِدْقًا وَعَدْلًا، وَوَعْدُهُ سَلَامٌ أَنْ يَلْحَقَهُ خُلْفٌ، وَهُوَ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ قَبْلَهُ شَيْءٌ أَوْ بَعْدَهُ شَيْءٌ، أَوْ فَوْقَهُ شَيْءٌ أَوْ دُونَهُ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ الْعَالِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَعَطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ سَلَامٌ أَنْ يَقَعَ فِي غَيْرِ مَوْقِعِهِ، وَمَغْفِرَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُبَالِيَ بِهَا، أَوْ يَضِيقَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ، أَوْ تَصْدُرَ عَنْ عَجْزٍ عَنْ أَخْذِ حَقِّهِ كَمَا تَكُونُ مَغْفِرَةُ النَّاسِ، وَرَحْمَتُهُ وَإِحْسَانُهُ وَرَأْفَتُهُ وَبِرُّهُ وَجُودُهُ، وَمُوَالَاتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَتَحَبُّبُهُ إِلَيْهِمْ وَحَنَانُهُ عَلَيْهِمْ، وَذِكْرُهُ لَهُمْ وَصَلَاتُهُ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِمْ، أَوْ تَعَزُّزٍ بِهِمْ، أَوْ تَكَثُّرٍ بِهِمْ؛ وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ السَّلَامُ مِنْ كُلِّ مَا يُنَافِي كَلَامَهُ الْمُقَدَّسَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ»(١).

❊❊❊

(١) «أحكام أهل الذمة» (ص٤١٣-٤١٥).

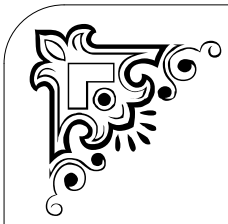

الْإِسْلَامُ دِينُ السَّلَامِ

إِنَّ السَّلَامَ قِيمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ رَاقِيَةٌ حَرَصَ دِينُنَا الْحَنِيفُ عَلَى تَرْسِيخِهَا، فَدِينُنَا دِينُ السَّلَامِ، وَنَبِيُّنَا ﷺ نَبِيُّ السَّلَامِ، وَتَحِيَّتُنَا فِي الدُّنْيَا سَلَامٌ، وَالْجَنَّةُ هِيَ دَارُ السَّلَامِ، وَتَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ السَّلَامُ، وَتَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ سَلَامٌ؛ حَيْثُ يَقُولُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

«هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً، أَيْ: فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الدِّينِ، وَلَا يَتْرُكُوا مِنْهَا شَيْئًا، وَأَلَّا يَكُونُوا مِمَّنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، إِنْ وَافَقَ الْأَمْرُ الْمَشْرُوعُ هَوَاهُ فَعَلَهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ تَرَكَهُ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْهَوَىٰ تَبَعًا لِلدِّينِ، وَأَنْ يَفْعَلَ كُلَّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ، وَمَا يَعْجِزُ عَنْهُ يَلْتَزِمُهُ وَيَنْوِيهِ فَيُدْرِكُهُ بِنِيَّتِهِ.

وَلَمَّا كَانَ الدُّخُولُ فِي السِّلْمِ كَافَّةً لَا يُمْكِنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ طُرُقِ الشَّيْطَانِ؛ قَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أَيْ: فِي الْعَمَلِ بِمَعَاصِي اللهِ ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ وَالْعَدُوُّ الْمُبِينُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَمَا بِهِ الضَّرَرُ عَلَيْكُمْ»(١).

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٤).

وَسَمَّىٰ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- الْجَنَّةَ دَارَ السَّلَامِ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

«﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وَسُمِّيَتِ الْجَنَّةُ دَارَ السَّلَامِ؛ لِسَلَامَتِهَا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَآفَةٍ وَكَدَرٍ، وَهَمٍّ وَغَمٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنَغِّصَاتِ، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ نَعِيمُهَا فِي غَايَةِ الْكَمَالِ وَنِهَايَةِ التَّمَامِ؛ بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ وَصْفِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يَتَمَنَّىٰ فَوْقَهُ الْمُتَمَنُّونَ مِنْ نَعِيمِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَلَهُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»[(١)].

وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

«تَحِيَّةُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللهِ فِي الْجَنَّةِ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ، وَأَمَانٌ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ»[(٢)].

«﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ أَيْ: تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أَيْ: يَرَوْنَ اللهَ ﴿سَلَٰمٌ﴾ أَيْ: يُسَلِّمُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَيُسَلِّمُهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ»[(٣)].

وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣- ٢٤].

«﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ مِنْ أَبْوَابِ الْمَنَازِلِ، أَوْ مِنْ أَبْوَابِ الْفُتُوحِ وَالتُّحَفِ قَائِلِينَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ بِشَارَةٌ بِدَوَامِ السَّلَامَةِ ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾».

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٧٣).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٤٢٤).

(٣) «تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٧).

«تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ: سَلِمْتُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ بِسَبَبِ صَبْرِكُمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ؛ فَنِعْمَ عَاقِبَةُ الدَّارِ الْجَنَّةُ»(١).

وَلِمَكَانَةِ السَّلَامِ وَشَرَفِهِ سَمَّىٰ رَبُّنَا ﷻ نَفْسَهُ (السَّلَامَ)، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤].

«هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ قَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ وَأَوْصَافِهِ الْعُلَىٰ عَظِيمَةِ الشَّأْنِ وَبَدِيعَةِ الْبُرْهَانِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ اللهُ الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ وَذَلِكَ لِكَمَالِهِ الْعَظِيمِ، وَإِحْسَانِهِ الشَّامِلِ، وَتَدْبِيرِهِ الْعَامِّ، وَكُلُّ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَإِنَّهُ بَاطِلٌ لَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْعِبَادَةِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ؛ لِأَنَّهُ فَقِيرٌ عَاجِزٌ نَاقِصٌ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ شَيْئًا، ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِعُمُومِ الْعِلْمِ الشَّامِلِ؛ لِمَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ وَمَا يُشَاهِدُونَهُ، وَبِعُمُومِ رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَوَصَلَتْ إِلَىٰ كُلِّ حَيٍّ.

ثُمَّ كَرَّرَ ذِكْرَ عُمُومِ إِلَهِيَّتِهِ وَانْفِرَادِهِ بِهَا، وَأَنَّهُ الْمَالِكُ لِجَمِيعِ الْمَمَالِكِ، فَالْعَالَمُ الْعُلْوِيُّ وَالسُّفْلِيُّ وَأَهْلُهُ.. الْجَمِيعُ مَمَالِيكُ لِلَّهِ، فُقَرَاءُ مُدَبَّرُونَ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٢٥٢).

﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ أَيِ: الْمُقَدَّسُ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَآفَةٍ وَنَقْصٍ، الْمُعَظَّمُ الْمُمَجَّدُ؛ لِأَنَّ الْقُدُّوسَ يَدُلُّ عَلَىٰ التَّنْزِيهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَالتَّعْظِيمِ لِلَّهِ فِي أَوْصَافِهِ وَجَلَالِهِ»(١).

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ نَبِيِّنَا ﷺ عَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»(٢).

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ**» أَيْ: مِنَ الْمَعَائِبِ وَالْحَوَادِثِ وَالتَّغَيُّرِ وَالْآفَاتِ، «**وَمِنْكَ السَّلَامُ**» أَيْ: مِنْكَ يُرْجَىٰ وَيُسْتَوْهَبُ وَيُسْتَفَادُ، «**تَبَارَكْتَ**» أَيْ: تَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، أَوْ تَعَالَىٰ صِفَاتُكَ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ «**يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» أَيْ: يَا مُسْتَحِقَّ الْجَلَالِ، وَهُوَ الْعَظَمَةُ، وَقِيلَ: الْجَلَالُ: التَّنَزُّهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ، وَقِيلَ: الْجَلَالُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا للهِ، وَالْإِكْرَامُ: الْإِحْسَانُ، وَقِيلَ: الْمُكْرِمُ لِأَوْلِيَائِهِ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ»(٣).

❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «عون المعبود» (٤/ ٢٦٤).

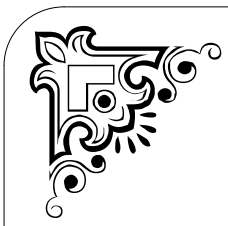

السَّلَامُ مَعَ النَّفْسِ وَالْكَوْنِ كُلِّهِ

إِنَّ السَّلَامَ فِي الْإِسْلَامِ سَلَامٌ شَامِلٌ، وَالْمُسْلِمُ الْحَقِيقِيُّ مُتَسَامِحٌ مَعَ نَفْسِهِ، فِي سَلَامٍ حَقِيقِيٍّ مَعَ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ، وَجِيرَانِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، وَمَعَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ إِلَّا مَنِ اسْتَثْنَاهُمُ الشَّرْعُ الْأَغَرُّ مِنْ أَهْلِ الْعُدْوَانِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَمِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُحْدِثِينَ فِي دِينِ اللهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ نَبِيُّنَا ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَمِنْ شَأْنِ الْمُسْلِمِ أَلَّا يَتَنَاوَلَ الْمُسْلِمِينَ بِيَدِهِ أَوْ بِلِسَانِهِ بِأَيِّ لَوْنٍ مِنْ أَلْوَانِ الْأَذَىٰ.

وَقَالَ ﷺ فِي الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَحُرْمَةِ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ: **«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان: باب بيان تفاضل الإسلام، (٤٠)، من حديث: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

والحديث في الصحيحين أيضا من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، وعند مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مرفوعا، بنحوه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٥٢)، والترمذي (١٩٤٣)، وأحمد (٦٤٩٦).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ**»(١).

إِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ تَفْقِدُ اعْتِبَارَهَا وَتَنْمَحِي آثَارُهَا إِنْ هِيَ لَمْ تَنْهَ أَصْحَابَهَا عَنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ وَصُنُوفِ الْأَذَىٰ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه **قَالَ: قِيلَ**: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّي اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَصَّدَّقُ، وَفِي لِسَانِهَا شَيْءٌ يُؤْذِي جِيرَانَهَا».

فَقَالَ: «**لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ فِي النَّارِ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟**».

قَالُوا: «الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ».

فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في «**المسند**»: (١/ ٣١١، رقم ٢٩٣)، أحمد: (٢/ ٤٤٠، رقم ٩٦٧٥)، وهناد بن السري في «**الزهد**»: (٢/ ٥٠٥)، والبخاري في «**الأدب المفرد**»: (ص ٤١، رقم ١١٩)، والبزار في «**المسند**»: (١٧/ ١٢٩، رقم ٩٧١٣)، وابن حبان: (١٣/ ٧٦ - ٧٧، رقم ٥٧٦٤-ترتيب ابن بلبان)، والحاكم: (٤/ ١٦٦).
والحديث صححه الألباني أيضا في «**الصحيحة**»: (١/ ٣٦٩، رقم ١٩٠).

يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

هَذَا هُوَ الْمُفْلِسُ الَّذِي لَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُنْقِذُ مُهْجَتَهُ مِنَ النَّارِ، رَغْمَ مَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَاتٍ.(*).

إِنَّ الْمُسْلِمَ يَعِيشُ فِي سَلَامٍ مَعَ الْكَوْنِ كُلِّهِ، فَلَا يُؤْذِي حَيَوَانًا، وَلَا يَحْرِقُ نَبَاتًا، وَلَا يُتْلِفُ شَجَرًا وَلَا ثَمَرًا، إِنَّمَا هُوَ بَنَّاءٌ مِعْطَاءٌ، يُحِبُّ الْخَيْرَ لَا الشَّرَّ، وَالْبِنَاءَ لَا الْهَدْمَ، وَالتَّعْمِيرَ لَا التَّخْرِيبَ وَلَا الْإِفْسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ يُؤَصِّلُ لِهَذَا السَّلَامِ الْكَوْنِيِّ، فَهُوَ بِحَقٍّ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- إِلَّا رَحْمَةً لِجَمِيعِ النَّاسِ، فَمَنْ آمَنَ بِكَ سَعِدَ وَنَجَا، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ خَابَ وَخَسِرَ»(٣).

«قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ رَحْمَةً لِجَمِيعِ النَّاسِ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِهِ سَعِدَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ سَلِمَ مِمَّا لَحِقَ الْأُمَمَ مِنَ الْخَسْفِ وَالْغَرَقِ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم، (٢٥٨١)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ| ١٨-٣-٢٠١٦م.

(٣) «التفسير الميسر» (ص٣٣١).

(٤) «تفسير القرطبي» (١١/ ٣٥٠).

وَيَتَجَلَّىٰ ذَلِكَ حِينَ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلًا فَأَخَذَ رَجُلٌ بَيْضَ حُمَّرَةٍ، فَجَاءَتْ تَرِفُّ عَلَىٰ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ بِبَيْضَتِهَا؟**».

فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَا أَخَذْتُ بَيْضَتَهَا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْدُدْ؛ رَحْمَةً لَهَا**»(١). وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

«**حُمَّرَةٌ**»: طَائِرٌ صَغِيرٌ كَالْعُصْفُورِ.

«**تَرِفُّ**» أَيْ: تَضْرِبُ بِجَنَاحَيْهَا؛ تَعَطُّفًا وَإِظْهَارًا لِتَعَلُّقِهَا بِذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «**ارْدُدْ، رَحْمَةً** لَهَا»: تَأَمَّلْ فِي تَكَامُلِ هَذَا الدِّينِ، إِذْ هُوَ الدِّينُ الْخَاتَمُ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لَقَدِ اتَّسَعَ وَقْتُ وَاهْتِمَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْإِرْشَادِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِتِلْكَ الْحُمَّرَةِ بِذَلِكَ الطَّائِرِ، وَيَأْمُرُ بِرَدِّ بَيْضَةِ الْحُمَّرَةِ إِلَيْهَا رَحْمَةً لَهَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ ذَلِكَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَفِي إِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَفِي مُجَالَدَةِ الْكَافِرِينَ الْمُشْرِكِينَ؛ إِقَامَةً لِلدِّينِ، وَتَأْسِيسًا لِدَعَائِمِ الْمِلَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَصْرِفُ هَذَا الْوَقْتَ لِذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْحُمَّرَةِ، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُفَهِّمَنَا حَقِيقَةَ الدِّينِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

(١) «الأدب المفرد» (رَقْم ٣٨٢)، وأَخْرَجَهُ أيضا أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٢٦٧٥، و٥٢٧٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي «صَحِيح الأدب المفرد» (رَقْم ٢٩٥)، وفِي «الصَحِيحةِ» (١/ رَقْم ٢٥ و٤٨٧).

«**فَجَاءَتْ تَرِفٌّ**»: جَعَلَتْ تَفْرُشُ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ، وَفِي أُخْرَىٰ «**تَعْرُشُ**» أَيْ: بِجَنَاحَيْهَا بِفَرْشِ الْجَنَاحِ وَبَسْطِهِ، وَ«التَّعْرِيشُ»: أَنْ يَرْتَفِعَ الطَّائِرُ، ويُظَلِّلَ بِجَنَاحَيْهِ.

«**فَجَعَ هَذِهِ ببَيْضَتِهَا**» أَيْ: وَجَعَ قَلْبَهَا وَأَقْلَقَهَا وَأَوْحَشَهَا.

وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا مَعَ الْجَمَلِ الَّذِي حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ حِينَ رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟**»؛ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟

فَجَاءَ فَتًىٰ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «لِي يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ ﷺ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ كَدَّهُ وَتُتْعِبُهُ**»(١).

لِأَنَّ هَذَا الْجَمَلَ كَانَ نَافِرًا، وَكَانَ فِي حَائِطٍ، فَتَحَاشَاهُ النَّاسُ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا نَخْشَىٰ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَدَخَلَ فَلَمَّا رَأَىٰ الْجَمَلُ النَّبِيَّ ﷺ، جَاءَ حَتَّىٰ جَعَلَ رَأْسَهُ عَلَىٰ كَتِفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخَذَ يَبْكِي، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَمْسَحُ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَدِفْرَاهُ قَدْ وَضَعَ ﷺ عَلَيْهِمَا يَدَهُ، وَقَالَ: «**لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟**».

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٢٥٤٩)، مِنْ حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه، وَصَحَّحَ إسناد الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيح أبي داود» (٧/ رَقْم ٢٢٩٧)، وفِي «صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٢/ رَقْم ٢٢٦٩).

والحديث أصله في «صَحِيح مُسْلِم» (رَقْم ٣٤٢ و٢٤٢٩) بدون هذه القصة.

فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «لِي يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ ﷺ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**».

فِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَنَّ الرَّحْمَةَ بِالْبَهَائِمِ وَبِالطُّيُورِ وَبِالْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْمَطْلُوبَاتِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، بَيَانُ كَمَالِ رَحْمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكُلِّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ مِنْ آدَمِيٍّ وَغَيْرِهِ، تَحْرِيمُ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ الْغَيْرِ بِدُونِ دَلِيلٍ مِنَ الشَّرْعِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكُمُ الْغَيْرُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ أَوْ عَالَمِ الطَّيْرِ.(*).

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَعِيشَ الْإِنْسَانُ فِي سَلَامٍ مَعَ نَفْسِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ أُسْرَتِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ عَائِلَتِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ جِيرَانِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ زُمَلَائِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ أَصْدِقَائِهِ، وَسَلَامٍ مَعَ الْمُجْتَمَعِ، وَسَلَامٍ مَعَ الْكَوْنِ كُلِّهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ١٧١٦-١٧١٩).

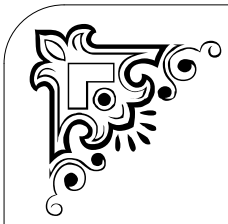

سُبُلُ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لِأَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ السَّلَامُ فَقَدْ دَلَّ عِبَادَهُ عَلَى مَا فِيهِ سَلَامَتُهُمْ، وَحَذَّرَهُمْ مِمَّا فِيهِ هَلَاكُهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِمُ الْكُتُبَ الَّتِي تُرْشِدُهُمْ وَتَهْدِيهِمْ إِلَى سُبُلِ السَّلَامِ(١)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

«﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهَالَةِ وَعَمَايَةِ الضَّلَالَةِ ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ لِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ الْخَلْقُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛ مِنَ الْعِلْمِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمِنَ الْعِلْمِ بِأَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَحْكَامِهِ الْجَزَائِيَّةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَنِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَمَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي مِنَ الْعَبْدِ لِحُصُولِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أَيْ: يَهْدِي بِهِ مَنِ اجْتَهَدَ وَحَرَصَ عَلَىٰ بُلُوغِ مَرْضَاةِ اللهِ، وَصَارَ قَصْدُهُ حَسَنًا..

---

(١) من خطبة: «اسم الله (السلام)».

سُبُلَ السَّلَامِ الَّتِي تُسَلِّمُ صَاحِبَهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَتُوصِلُهُ إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا»(١).

وَهَؤُلَاءِ الرُّسُلُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ قَدْ حَفِظَهُمْ وَسَلَّمَهُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ؛ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

«قُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ كَمَالَ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ؛ لِكَمَالِ أَوْصَافِهِ، وَجَمِيلِ مَعْرُوفِهِ وَهِبَاتِهِ، وَعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عُقُوبَتِهِ الْمُكَذِّبِينَ وَتَعْذِيبِ الظَّالِمِينَ، وَسَلِّمْ -أَيْضًا- عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ تَخَيَّرَهُمْ وَاصْطَفَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَصَفْوَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَذَلِكَ لِرَفْعِ ذِكْرِهِمْ، وَتَنْوِيهًا بِقَدْرِهِمْ، وَسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشَّرِّ وَالْأَدْنَاسِ، وَسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ فِي رَبِّهِمْ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ»(٢).

وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

«﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآفَاتِ، وَسَلَامَةِ مَا وَصَفُوا بِهِ فَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ»(٣).

❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٢٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٠٧).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٧٠٨).

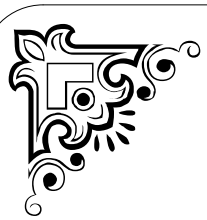

أَعْظَمُ السُّبُلِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّنَا نُؤَكِّدُ أَنَّ السَّلَامَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا مِنْ خِلَالِ نُفُوسٍ صَافِيَةٍ تَحْكُمُهَا ضَوَابِطُ إِيمَانِيَّةٌ سَامِيَةٌ وَأُصُولٌ شَرْعِيَّةٌ رَاقِيَةٌ، أَعْظَمُهَا وَأَجَلُّهَا وَأَرْقَاهَا: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ لِلْعَزِيزِ لِلْمَجِيدِ، فَأَعْظَمُ سَبِيلٍ لِلْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢](*).

﴿**ءَامَنُواْ**﴾: أَيْ أَخْلَصُوا العبادة للهِ؛ صَدَقُوا بِقُلُوبِهِمْ، ونَطَقُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَعَمِلُوا بِجَوَارِحِهِمْ.

وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ: تَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ.

﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ**﴾: أَيْ لَمْ يَخْلِطُوا ﴿**إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾: الْمُرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ الشِّرْكُ؛ وَهِيَ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ؛ فَتُفِيدُ الْعُمُومَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» -الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٣هـ| ٢٨-٠٩-٢٠١٢م.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾، وَالْأَمْنُ: طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ، وَزَوَالُ الْخَوْفِ.

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: مُوَفَّقُونَ لِلسَّيْرِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، ثَابِتُونَ عَلَيْهِ.(*).

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ شَرْعِ اللهِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ فَالِاهْتِدَاءُ بِالْعِلْمِ هِدَايَةُ إِرْشَادٍ، وَالِاهْتِدَاءُ بِالْعَمَلِ: هِدَايَةُ تَوْفِيقٍ.

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ الْجِنَّةِ.(*/٢).

فَبَيَّنَ ثَوَابَ الْمُوَحِّدِ، وَأَخْبَرَ ﷻ عَنْ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَخْلِطُوا تَوْحِيدَهُمْ بِظُلْمٍ -أَيْ بِشِرْكٍ- أَنَّهُمْ هُمُ الْآمِنُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الْمُهْتَدُونَ إِلَىٰ صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ.

ثَمَرَاتُ التَّوْحِيدِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: الْفَوْزُ بِرِضَا اللهِ -سُبْحَانَهُ-، وَالْأَمْنُ النَّفْسِيُّ، وَالشُّعُورُ بِالطُّمَأْنِينَةِ، وَالْحَيَاةُ السَّعِيدَةِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْقَلَقِ وَالشَّقَاءِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ مِنْ هَذِهِ الْحِيَاضِ النَّيِّرَةِ، وَالرَّوْضَاتِ الْمُونِقَةِ يُؤْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمْنًا نَفْسِيًّا، وَسَوَاءً عَقْلِيًّا، وَشُعُورًا بِالطُّمَأْنِينَةِ وَالِاسْتِقْرَارِ؛ يَحْسُدُهُمْ عَلَيْهِمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ: بَابٌ: فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ» - السَّبْت ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٩-٧-٢٠١٤م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ كِتَاب: «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ: بَابٌ: فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ» - الْأَحَد ١٦ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١١-١٢-٢٠١١م.

كَمَا قَالَ سَلَفُنَا الصَّالِحُونَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَيَّ أَوْقَاتٌ -يَعْنِي مِنْ قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَلَجْئِهِ إِلَيْهِ، وَانْطِرَاحِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَا يَجِدُ كِفَاءَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ وَضَمِيرِهِ وَعَقْلِهِ وجَسَدِهِ- يَقُولُ: إِنَّهُ لَتَأْتِي عَلَيَّ أَوْقَاتٌ أَقُولُ: لَوْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ مَا نَحْنُ فِيهِ، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ»(١).

فَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا حُقِّقَ هَذَا الْأَمْرُ؛ ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ**﴾.

فَالْأَمْنُ وَالِاهْتِدَاءُ عَلَىٰ قَدْرِ تَحْقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ.(*).

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَلَا تَتَحَقَّقُ فِيهِمُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْحَقَّةُ إِلَّا إِذَا حَقَّقُوا الْغَرَضَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُمُ اللهُ جَلَّوَعَلَا، وَإِذَا لَمْ يُحَقِّقُوهُ تَمَزَّقَتْ نُفُوسُهُمْ.

الشِّرْكُ يُمَزِّقُ وَحْدَةَ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

﴿**قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ**﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

---

(١) «**الوابل الصيب**» لابن القيم: ص١١١، و«**مدارج السالكين**»: ٢/ ٦٧ و٣/ ٢٤٣، و«**لطائف المعارف**» لابن رجب: ص٥٥٤.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ: بَابٌ: فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ» - السَّبْت ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٩-٧-٢٠١٤م.

كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ نَشَاطٍ وَحَرَكَةٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ للهِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ؛ فَتَتَحَقَّقُ -حِينَئِذٍ- وَحْدَةُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَهْدَأُ وَتَسْتَقِرُّ الرُّوحُ، وَيَطْمَئِنُّ الضَّمِيرُ، وَيَهْدَأُ الْجَنَانُ، وَتَسْتَقِيمُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْأَقْدَامُ.(*).

يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٩].

يَضْرِبُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ؛ لَعَلَّهُ يُصَادِفُ فِي قُلُوبِهِمْ مَوَاطِنَ الذِّكْرَىٰ فَيَعْلَمُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَا عِوَجَ فِيهِ، وَلَا خَلَلَ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ عَلَىٰ قَانُونِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَتِينِ.

ضَرَبَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَثَلًا لِلْمُوَحِّدِ وَالْمُشْرِكِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَاسْتَنْطَقَ النَّاسَ، سَأَلَ النَّاسَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُجِيبُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْطِقُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلِكَيْ تَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَوَاتِهِمْ وَمِنْ إِقْرَارَاتِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣هـ| ٢٨-٩-٢٠١٢م.

رَجُلٌ هُوَ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ لِشُرَكَاءَ مُتَشَاكِسِينَ، كُلٌّ يَأْمُرُ بِأَمْرٍ، وَكُلٌّ يَرْغَبُ فِي رَغْبَةٍ، وَكُلٌّ يُرِيدُ إِرَادَةً يُشَاكِسُ بِهَا الْآخَرِينَ، فَهُوَ مُوَزَّعُ الْقُوَىٰ، مُبَدَّدُ الطَّاقَاتِ، لَا تَسْتَقِيمُ لَهُ قَدَمٌ عَلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ.

وَفِي الْمُقَابِلِ يَضْرِبُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَثَلًا رَجُلًا سَلَمًا سَالِمًا خَالِصًا، لَيْسَتْ فِيهِ شَرِكَةٌ لِأَحَدٍ سِوَىٰ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَمْلِكُهُ ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾.

يَقُولُ الْعُقَلَاءُ مِنَ الْمُسْتَفْهَمِينَ مِنَ الْمَسْئُولِينَ: إِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؛ هَذَا فِي قَلَقٍ وَضَيْعَةٍ وَحَيْرَةٍ وَاضْطِرَابٍ وَشَتَاتِ أَمْرٍ، لَا تَسْتَقِيمُ لَهُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ قَدَمٌ، مُبَدَّدُ الْقُوَىٰ، مُوَزَّعُ الطَّاقَاتِ، لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ قَلْبٌ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَبَدَّدَ شَمْلُهُ بَعْدَ حِينٍ، وَلَا يَكَادُ يَسْتَقِرُّ عَلَىٰ جَنْبٍ حَتَّىٰ يُقِضَّ مَضْجَعَهُ أَمْرٌ لِسَيِّدٍ مِنْ سَادَاتِهِ الْمُتَشَاكِسِينَ ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ هُوَ خَالِصٌ لِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي وُصِفَ بِهَذِهِ الرُّجُولَةِ الْمُطْلَقَةِ ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾.

لَا يَسْتَوِي الْمُوَحِّدُ الَّذِي لَا يَرَىٰ عَلَىٰ سَمْتِ الْأُفُقِ إِلَّا نَجْمًا وَاحِدًا، فَهُوَ يَهْدِيهِ فِي الدَّيَاجِيرِ، تَسْتَقِيمُ الْقَدَمُ عَلَىٰ ضَوْئِهِ عَلَىٰ سَمْتِهِ وَتَؤُمُّهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَىٰ دَرْبٍ لَاحِبٍ لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا أَمْتَ.

وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَإِنَّهُ تَتَبَدَّدُهُ وَتَتَوَزَّعُهُ طَاقَاتٌ عِدَّةٌ، لَا يَكَادُ يَأْتِيهِ اسْتِقْرَارٌ إِلَّا مَعَ الْقَلَقِ الْمُبِينِ، وَإِلَّا مَعَ الْحَيْرَةِ الْمُضْنِيَةِ، وَإِلَّا مَعَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَسُوقُ الْحَمْدَ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ لَنَا سَمْتًا وَاحِدًا، وَجَعَلَ لَنَا سَمْتًا نَؤُمُّهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَا تَزِيغُ فِيهِ

الْأَقْدَامُ، وَلَا تَضِلُّ فِي هَدْيِهِ الْأَفْهَامُ، وَإِنَّمَا نَمْضِي فِيهِ قُدُمًا إِلَىٰ أَمَامَ أَمَامَ، وَالْأَعْيُنُ مُعَلَّقَاتٌ بِالنَّجْمِ الَّذِي لَا يَغِيبُ؛ بِنَجْمِ هِدَايَةِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ آتِيًا مِنْ هُنَاكَ، يَأْتِي بِهِ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ ﷺ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَمْرَ أَمْرًا وَاحِدًا لَا تَتَبَدَّدُ فِيهِ الْقُوَىٰ، وَلَا تَتَوَزَّعُ فِيهِ الطَّاقَاتُ.(*).

عَبْدٌ وَاحِدٌ لِرَبٍّ وَاحِدٍ، لِإِلَهٍ وَاحِدٍ، يُحَقِّقُ أَمْرَهُ وَيَجْتَنِبُ نَهْيَهُ، وَيَعْبُدُهُ مُخْلِصًا لَهُ الْعِبَادَةَ وَالدِّينَ، أَهَذَا فِي اسْتِقْرَارِ قَلْبِهِ، وَقَرَارِ ضَمِيرِهِ، وَرَاحَةِ فُؤَادِهِ وَرُوحِهِ، كَمَنْ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ، هَذَا يَأْمُرُهُ وَهَذَا يَنْهَاهُ، وَهَذَا يُقِيمُهُ وَهَذَا يُقْعِدُهُ، وَهَذَا يُوقِظُهُ وَهَذَا يُنِيمُهُ، فَأَنَّىٰ يَسْتَقِرُّ لِهَذَا قَلْبٌ عَلَىٰ قَرَارٍ؟!!

هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟!!

سَيُجِيبُ كُلُّ مَنْ آتَاهُ اللهُ عَقْلًا: لَا يَسْتَوِيَانِ.

الْحَمْدُ للهِ.. لَقَدْ نَطَقْتُمْ أَنْتُمْ، وَأَجَبْتُمْ عَنِ الْمَثَلِ الَّذِي ضَرَبْتُ لَكُمْ لِلْمُوَحِّدِ وَالْمُشْرِكِ.. هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟

وَالْجَوَابُ هَاهُنَا مَحْذُوفٌ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ، وَالتَّعْقِيبُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩](*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَيْنَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ؟».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣هـ| ٢٨-٩-٢٠١٢م.

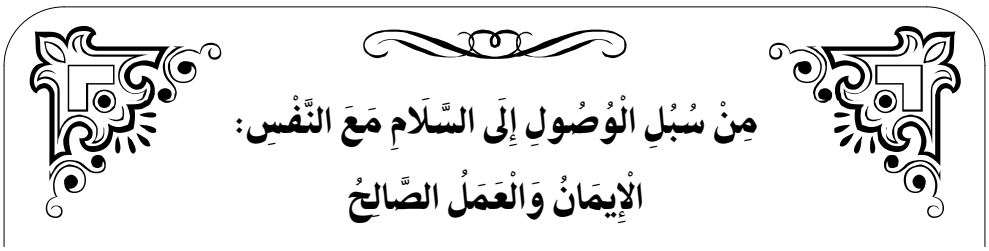

مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّنَا لَوْ سَأَلْنَا أَيَّ مُسْلِمٍ عَنْ غَايَتِهِ لَقَالَ: إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعِيشَ سَعِيدًا، وَأَنْ يَمُوتَ حَمِيدًا، وَأَنْ يُبْعَثَ آمِنًا.

فَهَذِهِ غَايَةٌ شَرِيفَةٌ، وَمَقْصِدٌ كَرِيمٌ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ مُسْلِمَانِ، وَلَكِنَّكَ إِنْ سَأَلْتَ: «مَا الْوَسِيلَةُ؟»؛ تَبَايَنَتِ الْآرَاءُ، وَتَدَخَّلَتِ الْأَهْوَاءُ!

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَكَرَ الْمَقْصِدَ وَالْغَايَةَ مَعَ الْوَسِيلَةِ وَالطَّرِيقَةِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النَّحْل: ٩٧].

فَذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْغَايَةَ، وَأَرْدَفَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالطَّرِيقَةِ وَالْوَسِيلَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهَا؛ أَنْ تَعِيشَ سَعِيدًا، وَأَنْ تَمُوتَ حَمِيدًا، وَأَنْ تُبْعَثَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

طَرِيقُكَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَإِذَا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، وَأَتَوْا بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ.. تَحَقَّقَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالْجَزَاءِ الْحَسَنِ.

وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ حَيَاةُ الْعِزَّةِ، وَحَيَاةُ الْكَرَامَةِ، وَحَيَاةُ الشَّرَفِ، وَحَيَاةُ الِاطْمِئْنَانِ وَنَفْيِ الْقَلَقِ.

الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ حَيَاةُ الِاسْتِعْلَاءِ بِالْإِيمَانِ فَوْقَ مُتَطَلَّبَاتِ الْأَرْضِ وَمُقْتَضَيَاتِ الطِّينِ.

الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَزَاءُ الْحَسَنُ، لَمَّا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ آتَاهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الرِّفْعَةَ وَالسِّيَادَةَ وَقِيَادَةَ الْعَالَمِ.

وَالْمِثَالُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي هَذَا الْمَجَالِ هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي قَوْمٍ أُمِّيِّينَ لَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا مِنَ الْحَضَارَةِ، تُفْنِيهِمُ الْحُرُوبُ، يُشَنُّ أُوَارُ تِلْكَ الْحُرُوبِ بَيْنَهُمْ لِأَتْفَهِ الْأَسْبَابِ، وَيَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا!

وَبَعَثَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ فَلَمَّا اتَّبَعُوا الرَّسُولَ ﷺ فَآمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا مِنَ الزَّمَانِ حَتَّىٰ كَانُوا سَادَةَ الْعَالَمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَدُكَّتْ أَمَامَ زَحْفِهِمْ بِكَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» الْحُصُونُ، وَسُوِّيَتِ الْأَسْوَارُ، وَثُلَّتِ التِّيجَانُ، وَهُدِمَتِ الْعُرُوشُ.. لَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ؛ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَيُؤْتِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَتَىٰ بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا؛ يُؤْتِيهِ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، مَعَ مَا يَعِدُهُ بِهِ رَبُّهُ جَلَّوَعَلَا مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ فِي جَنَّةِ الْإِقَامَةِ بِالْكَرَامَةِ.

وَلَمَّا تَرَكَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَضَعُفَ الْإِيمَانُ وَرَقَّ وَخَفِيَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَوْ كَادَ يَزُولُ؛ سُلِّطَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمَمُ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الذُّلِّ مَا هُوَ مَعْلُومٌ لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ، وَأَتَاهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ مَا يُوعَدُونَ جَزَاءَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَأْخُذُهُ بِقُوَّةٍ كَمَا أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُؤْخَذَ الدِّينُ.

الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ سِرُّ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، مَعَ مَا يَعِدُ بِهِ رَبُّنَا جَلَّتْ قُدْرَتُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: ٥٥].

فَوَعَدَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَتَىٰ بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ وَحَقَّقَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلُ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُ الدِّينَ.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا مَكَّنَ لِلصَّالِحِينَ مَكَّنُوا لِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْأَرْضِ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحَجّ: ٤٠-٤١].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ أَنْ يُحَقِّقَهُمَا الْمُسْلِمُونَ، فَإِذَا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَآمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا مَكَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ

فِي الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُمْ فِيهَا كَمَا اسْتَخْلَفَ الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ يُمَكِّنُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ، وَذَلِكَ كُلُّهُ يُؤَدِّي فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ مَاذَا؟

إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]؛ يُوَحِّدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا.

وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ الْفِسْقُ حَقًّا، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لَا فَاسِقَ إِلَّا هُمْ، وَهَذَا أُسْلُوبٌ مَعْرُوفٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ يُفِيدُ الْقَصْرَ وَالْحَصْرَ: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ شَرَعَ لَنَا هَذَا الدِّينَ الْعَظِيمَ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَسْأَلَهُ، فَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي هُوَ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ارْتَضَاهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ.

الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ هُوَ دِينُ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ، أَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَكُلُّهُ مَحَاسِنُ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ رَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ.

فَعَقِيدَتُهُ تَجْعَلُكَ مُطْمَئِنَّ الْقَلْبِ لِرَبِّكَ جَلَّوَعَلَا، مُسْتَقِرَّ الضَّمِيرِ، مُوَحِّدًا سَيِّدَكَ الَّذِي خَلَقَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهُوَ يَرْزُقُكَ وَيَكْلَؤُكَ وَيَرْعَاكَ، تُوَحِّدُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، تَعْبُدُهُ وَتُؤَدِّي الْعِبَادَةَ لِوَجْهِهِ طَالِبًا رِضَاهُ وَحْدَهُ.

هَذِهِ الْفِطْرَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ، هِيَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ**»؛ عَلَىٰ هَذَا الدِّينِ، عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، فَطَرَكَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَنْشَأَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَكَ إِلَىٰ هَذَا الْوُجُودِ مُسْلِمًا.

وَمَا يَأْتِي بَعْدُ مِنَ انْحِرَافَاتٍ فِي الِاعْتِقَادِ وَالْأَدْيَانِ وَمَا أَشْبَهَ.. فَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ، وَمِنْ فِعْلِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ[1].

«**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[2]، سُبْحَانَ اللهِ! وَلَمْ يَقُلْ بِهِ: أَوْ يَجْعَلَانِهِ مُسْلِمًا! لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ عَلَىٰ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، أَنْشَأَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَفَطَرَهُ مُسْلِمًا

فَالْكُفْرُ وَالشِّرْكُ انْحِرَافٌ عَنِ الْفِطْرَةِ، وَإِذَا انْحَرَفَتِ الْفِطْرَةُ عَمَّا فَطَرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ، وَإِذَا مَا جَانَبَ الْإِنْسَانُ الطَّرِيقَ الَّذِي هَدَاهُ اللهُ إِلَيْهِ هِدَايَةً

---

(١) أخرج مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ٢١٩٧، رقم ٢٨٦٥)، من حديث: عِيَاضِ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه:
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ**،...» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٢٤٥-٢٤٦، رقم ١٣٨٥)، ومسلم في «الصحيح»: (٤/ ٢٠٤٧، رقم ٢٦٥٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
وفي رواية لهما: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ**،...»، ولمسلم: «**كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ**،...».

قَدَرِيَّةً بِهِدَايَةِ الدَّلَالَةِ هِدَايَةً شَرْعِيَّةً، هِدَايَةً قَدَرِيَّةً لِمَنْ تَبِعَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ مَعَ شَرِيعَتِهَا، وَدَلَالَةً شَرْعِيَّةً لِمَنْ جَانَبَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ وَلَمْ يُوقِنْ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَدَاكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ هَذِهِ الْفِطْرَةِ وَأَقَامَكَ عَلَيْهَا، فَأَيُّ انْحِرَافٍ عَنْ سَبِيلِهَا يَجْعَلُ الْمَرْءَ فِي قَلَقٍ دَائِمٍ، وَفِي هَمٍّ مُقِيمٍ، وَحَالُهُ لَا يَسْتَقِيمُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَقِيمَ حَالُ الْمَرْءِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَدِينُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْفِطْرَةُ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ حُنَفَاءَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَإِذَا وَافَقَتِ الْفِطْرَةُ الشَّرْعَ وَوَافَقَ الشَّرْعُ الْفِطْرَةَ فَهِيَ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَنْتَظِرُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَطَاءِ.

هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، فَيَحْيَا الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ مَعَ مَا يَنْتَظِرُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ عِنْدَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

عِيشُوا الْإِسْلَامَ إِذَا أَرَدْتُمُ الْمَرْدُودَ الْحَقَّ، عِيشُوهُ، عِيشُوا دِينَ اللهِ، أَمَّا أَنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَ حُدُودِ اللَّفْظِ كَلَامًا أَوْ عِنْدَ حُدُودِ الْكَلِمَةِ كِتَابَةً وَبَيَانًا.. فَمَا أَكْثَرَ الْكَلَامَ! وَمَا أَعْظَمَ الْفَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ يُهْدَرُ بِهَا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَكَلَامٍ! وَلَكِنْ.. أَيَّ شَيْءٍ يُفِيدُ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَتَحَوَّلْ إِلَىٰ وَاقِعٍ مَنْظُورٍ فِي كَوْنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟!!(*).

مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنَ اللهِ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَلِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَسُلُوكِهِ هِيَ بِحَسَبِ الْإِيمَانِ وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٦].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ ١٤٢٨هـ: «الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَزَاءُ الْحَسَنُ» - السَّبْتُ ١ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٨هـ| ١٣-١٠-٢٠٠٧م.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ اتِّبَاعَ رِضْوَانِ اللهِ -الَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ- هُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ، وَسَاقُهُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، فَهَذِهِ هِدَايَةٌ عَمَلِيَّةٌ، هِدَايَةُ تَوْفِيقٍ وَإِعَانَةٍ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِوَظِيفَةِ الصَّبْرِ عِنْدَ حُلُولِ الْمَصَائِبِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَرَضِيَ وَسَلِمَ وَانْقَادَ.

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ، وَبِكَمَالِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَكِبْرِيَائِهِ، وَمَجْدِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ يَقِينًا وَطُمَأْنِينَةً، وَتَوَكُّلًا عَلَىٰ اللهِ،** وَثِقَةً بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ، وَرَجَاءً لِرَحْمَتِهِ، وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ إِجْلَالًا للهِ وَمُرَاقَبَةً، وَأَعْظَمُهُمْ إِخْلَاصًا وَصِدْقًا، وَهَذَا هُوَ صَلَاحُ الْقُلُوبِ، لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ.

*** مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: أَنَّ قَوِيَّ الْإِيمَانِ يَجِدُ فِي قَلْبِهِ مِنْ ذَوْقِ حَلَاوَتِهِ، وَلَذَّةِ طَعْمِهِ، وَاسْتِحْلَاءِ آثَارَهِ،** وَالتَّلَذُّذِ بِخِدْمَةِ رَبِّهِ، وَأَدَاءِ حُقُوقِهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ -الَّتِي هِيَ مُوجَبُ الْإِيمَانِ وَأَثَرُهُ-؛ يَجِدُ مَا يُزْرِي بِلَذَّاتِ الدُّنْيَا كُلِّهَا بِأَسْرِهَا؛ فَإِنَّهُ مَسْرُورٌ وَقْتَ قِيَامِهِ بِوَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ وَمُسْتَحَبَّاتِهِ، وَمَسْرُورٌ بِمَا يَرْجُوهُ وَيُؤَمِّلُهُ مِنْ رَبِّهِ؛ مِنْ ثَوَابِهِ وَجَزَائِهِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَمَسْرُورٌ بِأَنَّهُ رَبِحَ وَقْتَهُ الَّذِي هُوَ زَهْرَةُ عُمُرِهِ وَأَصْلُ مَكْسَبِهِ، وَمَحْشُوٌّ قَلْبِهِ -أَيْضًا- مِنْ لَذَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِكَمَالِهِ وَكَمَالِ بِرِّهِ، وَسَعَةِ جُودِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلَذَّةِ مَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ النَّاشِئَةِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ بِأَوْصَافِهِ، وَعَنْ مُشَاهَدَةِ إِحْسَانِهِ وَمِنَنِهِ.

فَالْمُؤْمِنُ يَتَقَلَّبُ فِي لَذَّاتِ الْإِيمَانِ وَحَلَاوَتِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْإِيمَانُ مُسَلِّيًا عَنِ الْمُصِيبَاتِ، مُهَوِّنًا لِلطَّاعَاتِ، وَمَانِعًا مِنْ وُقُوعِ الْمُخَالَفَاتِ، جَاعِلًا إِرَادَةَ الْعَبْدِ وَهَوَاهُ تَبَعًا لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)، الثُّلَاثَاءُ ١٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٢٤-٩-٢٠١٣م.

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: الصَّلَاةُ

إِنَّ لِلصَّلَاةِ كَثِيرًا مِنَ الْفَوَائِدِ وَالثَّمَرَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ الصَّلَاةِ: أَنَّ بِهَا قُرَّةَ الْعَيْنِ، وَطُمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ، وَرَاحَةَ النَّفْسِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «سُنَنِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ(١).

وَكَانَ يَقُولُ: «**قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَتَفَرَّدَ بِهِ، وَنَصُّهُ عِنْدَهُ: «**يَا بِلَالُ! أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا**». وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ(٢).

---

(١) كَمَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «**الْمُجْتَبَىٰ**»: (٧/ ٦١، رقم ٣٩٣٩) من حديث أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**». وَالْحَدِيثُ حَسَّنَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي هامشِ «**المشكاة**»: (٣/ ١٤٤٨، رقم ٥٢٦١).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: (٤/ ٢٩٦، رقم ٤٩٨٥)، من طريق: سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**». والحديث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ**»: (٣/ ٢٢٥، رقم ٤٩٨٥).

فَالصَّلَاةُ ذِكْرٌ، وَبِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، وَصِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، يَقُومُ الْمُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ خَاشِعًا ذَلِيلًا، يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَيَتْلُو كِتَابَهُ، وَيُعَظِّمُهُ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَيَسْأَلُهُ حَاجَاتِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ؛ فَالصَّلَاةُ رَوْضَةٌ يَانِعَةٌ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ.(*).

عِبَادَ اللهِ! قَالَ رَسُولُكُمْ ﷺ: «**يَا بِلَالُ! قُمْ أَرِحْنَا بِهَا**»(٢)، «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(٣).

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَىٰ اللهِ، فَلَوْ كَانَ هُنَالِكَ شَيْءٌ هُوَ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَةِ؛ لَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِ رَسُولِهِ وَخَلِيلِهِ فِيهِ، وَلَكِنْ قَالَ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»، «**أَرِحْنَا بِهَا**»، لَا (أَرِحْنَا مِنْهَا)، «**أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ**».(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ كِتَاب: «صِفَةُ الصَّلَاةِ» - الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ - الثُّلَاثَاءُ ٢٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٣٥هـ| ٢٩-٤-٢٠١٤م.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «التَّعَبُّدُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الصَّلَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ٢٣-٥-٢٠١٤م.

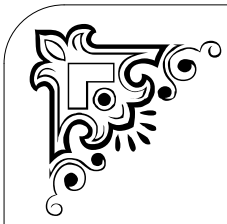

مِنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ:
ذِكْرُ اللهِ

مِنَ الْوَسَائِلِ الْعَظِيمَةِ لِلْوُصُولِ إِلَى رَاحَةِ الْقَلْبِ وَالسَّلَامِ النَّفْسِيِّ: ذِكْرُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَمِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ لِانْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَطُمَأْنِينَتِهِ: الْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ لِذَلِكَ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَطُمَأْنِينَتِهِ، وَزَوَالِ هَمِّهِ وَغَمِّهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فَلِذِكْرِ اللهِ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي حُصُولِ هَذَا الْمَطْلُوبِ لِخَاصِيَّتِهِ، وَلِمَا يَرْجُوهُ الْعَبْدُ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَجْرِهِ.(*).

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: أَيْ حَقِيقٌ بِهَا وَحَرِيٌّ أَلَّا تَطْمَئِنَّ لِشَيْءٍ سِوَىٰ ذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَلَذَّ لِلْقُلُوبِ، وَلَا أَشْهَىٰ وَلَا أَحْلَىٰ مِنْ مَحَبَّةِ خَالِقِهَا، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ مَعْرِفَتِهَا بِاللهِ، وَمَحَبَّتِهَا لَهُ؛ يَكُونُ ذِكْرُهَا لَهُ، ذَلِكَ عَلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّ ذِكْرَ اللهِ ذِكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١٣-١١-٢٠١٣م.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٤١٧).

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ اللهِ كِتَابُهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ ذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَعَلَىٰ هَذَا مَعْنَىٰ طُمَأْنِينَةِ الْقُلُوبِ بِذِكْرِ اللهِ: أَنَّهَا حِينَ تَعْرِفُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامَهُ تَطْمَئِنُّ لَهَا؛ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ الْمُؤَيَّدِ بِالْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ، فَبِذَلِكَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، فَإِنَّهَا لَا تَطْمَئِنُّ إِلَّا بِالْيَقِينِ وَالْعِلْمِ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ مَضْمُونٌ عَلَىٰ أَتَمِّ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا، وَأَمَّا مَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ؛ فَلَا تَطْمَئِنُّ بِهَا، بَلْ لَا تَزَالُ قَلِقَةً مِنْ تَعَارُضِ الْأَدِلَّةِ وَتَضَادِّ الْأَحْكَامِ». (*).

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾.

«وَيَهْدِي الَّذِينَ تَسْكُنُ قُلُوبُهُمْ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَذِكْرِهِ فَتَطْمَئِنُّ، أَلَا بِطَاعَةِ اللهِ وَذِكْرِهِ وَثَوَابِهِ تَسْكُنُ الْقُلُوبُ وَتَسْتَأْنِسُ»(٢).

الذِّكْرُ يُزِيلُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ عَنِ الْقَلبِ، وَيَجْلِبُ لِلْقَلبِ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالْبَسْطَ.

وَالذِّكْرُ يُقَوِّي الْقَلبَ وَالْبَدَنَ، وَيُنَوِّرُ الْوَجْهَ وَالْقَلبَ. (*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ الأُولَىٰ: مُقَدِّمَةُ الْمُصَنِّفِ)، الْأَحَدُ ١٩ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ١٠-٩-٢٠١٧م.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٢٥٢).

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «ذِكْرُ اللهِ وَظِيفَةُ الْحَيَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ١٥-٩-٢٠١٧م.

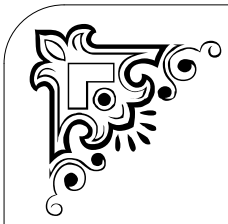

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: مَعْرِفَةُ الْغَايَةِ مِنَ الْخَلْقِ وَتَوْحِيدُ الْقَصْدِ

مِنْ أَعْظَمِ السُّبُلِ لِلْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ وَاسْتِقْرَارِ الرُّوحِ: مَعْرِفَةُ الْغَايَةِ الَّتِي خَلَقَنَا اللهُ لِأَجْلِهَا؛ فَإِنَّ الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِ آدَمَ عليه السلام وَذُرِّيَّتِهِ هِيَ: عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦](*).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

بَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ عَبَثًا وَلَا سُدًى، وَإِنَّمَا خَلَقَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِعِبَادَتِهِ.

وَالْعِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وَأَوَّلُ مَا أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ وَوَصَّىٰ، وَأَوْجَبَ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ: أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ: مُقَدِّمَةٌ وَبَيَانُ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٩-٧-٢٠١٤م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ: مَوْضُوعُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٩-٧-٢٠١٤م.

وَمَنْ عَرَفَ الْغَايَةَ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ أَجْلِهَا وَحَدَّ قَصْدَهُ وَهَدَفَهُ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ رَاحَةِ قَلْبِهِ وَسَلَامِهِ مَعَ نَفْسِهِ وَمَعَ مَنْ حَوْلَهُ، وَالرَّسُولُ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِهِ وَابْنُ مَاجه مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ**»(١).

فِي صُورَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ -وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ- يَأْتِي الرَّسُولُ ﷺ بِصُورَةِ رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ الشَّمْلَ كُلَّهُ، فَلَا يَتَفَرَّقُ عَلَيْهِ مِنْ شَمْلِهِ شَيْءٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مَجْمُوعُ الشَّمْلِ بِوِحْدَةِ الْقَصْدِ لَا يَلْتَفِتُ، وَإِنَّمَا إِلَىٰ أَمَامَ أَمَامَ، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا، وَمِنْ عَاقِبَتِهِ رَشَدًا، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ثَبَاتًا وَنَصْرًا.

فَهَذِهِ صُورَةٌ.. يُقَابِلُهَا صُورَةٌ أُخْرَىٰ؛ صُورَةُ الرَّجُلِ الَّذِيٰ تَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلُهُ، فَطُرُقُهُ قِصَارٌ لَا تَسْتَتِمُّ بَلْ لَا تَبِينُ، وَإِنَّمَا هِيَ مُتَقَاطِعَةٌ مُتَدَاخِلَةٌ مُتَمَاوِجَةٌ، لَا يَكَادُ يَتَبَيَّنُ مِنْهَا طَرِيقٌ وَلَا يَقِفُ مِنْهَا عَلَىٰ سَبِيلٍ، تَشَابَهَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ، وَاخْتَلَطَتْ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، والطبراني في «الأوسط» (٨٨٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٩٨٥٨) وغيرهم عن أنس بن مالك. وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٩)، ورواه أحمد (٢١٥٩٠)، وابن ماجه (٤١٠٥) وغيرهما عن زيد بن ثابت مطولا. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٠٥).

عَلَيْهِ الدُّرُوبُ، وَتَدَاخَلَتْ عِنْدَهُ الْخُطُوطُ، وَتَقَاطَعَتْ عِنْدَهُ الدَّوَائِرُ؛ لِأَنَّ شَمْلَهُ تَفَرَّقَ عَلَيْهِ، فَمَا مِنْ هَدَفٍ هَاهُنَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْعَىٰ إِلَيْهِ.

وَالْآخَرُ مُشَمِّرٌ قَدْ أَجْمَعَ أَمْرَهُ عَلَىٰ وِحْدَةِ قَصْدٍ لِهَدَفٍ مُحَدَّدٍ يَبْذُلُ لَهُ وُسْعَهُ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْغِنَىٰ الْكَامِنِ فِي الصَّدْرِ الْمُسْتَقِرِّ فِي الْقَلْبِ مَا يَجْعَلُ أَمْرَهُ عَلَىٰ سَوَاءٍ.

وَأَمَّا هَذَا الَّذِي فِي الصُّورَةِ الْمُقَابِلَةِ لِكَيْ يُظْهِرَ مَا هُنَالِكَ مِنْ حُسْنٍ بَارِزٍ، وَمِنْ بَهْجَةٍ ظَاهِرَةٍ؛ فَهَذَا لَمَّا تَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلُهُ جَاءَ فَقْرُهُ فَسَكَنَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهُ أَبَدًا، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لِكَيْ تَكُونَ الصُّورَةُ وَاضِحَةً فِي ذِهْنِ السَّامِعِ وَالْمُسْتَبْصِرِ يَأْتِي النَّبِيُّ ﷺ بِأَمْرَيْنِ:

فِي الصُّورَةِ الْأُولَىٰ: صُورَةِ الْمَجْمُوعِ الشَّمْلِ صَاحِبِ الْغِنَىٰ فِي الْقَلْبِ، تَأْتِيهِ الدُّنْيَا رَاغِمَةً، وَتَأَمَّلِ -الْآنَ- فِي صُورَةِ الدُّنْيَا الرَّاغِمَةِ آتِيَةً إِلَيْهِ قَدْ جُمِعَتْ بِحَذَافِيرِهَا تُسَاقُ -وَالسِّيَاطُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا لَاهِبَةٌ، وَالسِّيَاطُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا لَاسِعَةٌ- تُسَاقُ سَوْقًا إِلَيْهِ وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَهُوَ لَفْظُ نَبِيِّكِ ﷺ: «**وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**».

وَأَمَّا فِي الصُّورَةِ الْمُقَابِلَةِ: فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ**»؛ فَلِمَ الْعَنَاءُ إِذَنْ؟!! وَلِمَ بَذْلُ النَّفْسِ فِي غَيْرِ سَبِيلٍ، وَإِضَاعَةُ الْعُمُرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ؟!!

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا لِلْغُلَامِ -غُلَامِ وَفْدِ (تُوجِيبَا)-، يَقُولُ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَمُوتَ جَمِيعًا**»؛ فَتَعَجَّبَ السَّامِعُ مِنْ قَوْلِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَلَيْسَ الرَّجُلُ يَمُوتُ جَمِيعًا؟!!»، وَهَلْ يَمُوتُ الرَّجُلُ تَبَاعِيضَ تَفَارِيقَ؟!! وَهَلْ يَمُوتُ الرَّجُلُ بِالتَّقْسِيطِ؟!! إِنَّ الرَّجُلَ يَمُوتُ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَمُوتَ جَمِيعًا**»؛ يَمُوتُ كُلُّهُ، لَا يَمُوتُ تَفَارِيقَ، وَلَا يَمُوتُ تَبَاعِيضَ، كَيْفَ؟!!

قال: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَهَلْ يَمُوتُ الرَّجُلُ إِلَّا جَمِيعًا؟».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَشَعَّبُ بِهِ** -يَعْنِي: تَتَشَعَّبُ عَلَىٰ التَّسْهِيلِ، تَشَعَّبُ بِهِ أَهْوَاءُهُ وَمَذَاهِبُهُ وَرَغَابَتُهُ وَرَغَائِبُهُ- **تَشَعَّبُ بِهِ أَهْوَاءُهُ وَهُمُومُهُ** -هَذَا نَصُّهُ ﷺ- تَشَعَّبُ -أَيْ: تَتَشَعَّبُ- **بِهِ أَهْوَاءُهُ وَهُمُومُهُ، حَتَّىٰ يَصِيرَ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْهُ بَعْضٌ؛ فَلَا يُبَالِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا أَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ فِي أَيِّ تِلْكَ الْأَوْدِيَةِ هَلَكَ**».

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَه رَحِمَهُ اللهُ يَرْفَعُهُ بِسَنَدِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ -وَهُوَ سَنَدٌ حَسَنٌ-، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا** -يَعْنِي: هَمَّ الْمَعَادِ، هَمَّ الْآخِرَةِ، هَمَّ الْبَاقِيَةِ- **مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ** -كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا-، **وَأَمَّا مَنْ تَوَزَّعَتْهُ هُمُومُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ** -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- **فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ**»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٤٤) وغيرهما عن ابن مسعود. وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٦٣).

النَّبِيُّ ﷺ يَشْرَحُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا اسْتَشْكَلَهُ الصَّحَابِيُّ هُنَالِكَ عِنْدَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَمُوتَ جَمِيعًا**»، مَطْلَبٌ عَزِيزٌ جِدًّا أَنْ يَمُوتَ الْمَرْءُ جَمِيعًا مَجْمُوعَ الْهِمَّةِ، مَجْمُوعَ الْقَلْبِ، مَجْمُوعَ الْقَصْدِ، مَجْمُوعَ الْعَزِيمَةِ، مُوَحَّدَ الْإِرَادَةِ، غَيْرَ مُشَتَّتٍ فِي أَحْوَالِهِ وَلَا فِي حَالَاتِهِ، وَلَا فِي عَزْمِهِ وَلَا فِي عَزَائِمِهِ، وَإِنَّمَا عَرَفَ طَرِيقَهُ فَسَلَكَ، وَعَرَفَ النَّجَاةَ، وَعَرَفَ النَّارَ وَفِيهَا مَا فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ مَنْ وَاقَعَهَا هَلَكَ، فَلَمَّا عَرَفَ ذَلِكَ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ؛ وَحَّدَ الْقَصْدَ وَوَحَّدَ الْإِرَادَةَ، وَجَاءَ الْأَمْرُ مَجْمُوعًا فِي قَلْبِهِ بِغِنًىٰ مُتَفَرِّدٍ مُتَأَلِّقٍ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَة: «حَقِيقَةُ الدُّنْيَا».

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ السُّبُلِ لِلْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالْقَدَرُ هُوَ تَقْدِيرُ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ حُدُوثِهَا تَقْدِيرًا يُوَافِقُ عِلْمَهُ وَكِتَابَتَهُ كَمًّا، وَكَيْفًا، وَزَمَانًا، وَمَكَانًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وَلِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا: الطُّمَأْنِينَةُ وَالرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَقْدَارِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، فَلَا يَقْلَقُ بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الزُّهْدِ، ١٣، رَقْمُ ٢٩٩٩)، مِنْ حَدِيثِ: صُهَيْبٍ رضي الله عنه.

فَالْمُؤْمِنُ يَرَىٰ ذَلِكَ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالٍ، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، فَيَبُوءُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ شَاكِرًا رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَإِذَا وَقَعَ فِي ذَنْبٍ اسْتَغْفَرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَمْ يَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ.

وَإِنَّمَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، لَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ.

أَمَّا عِنْدَ الذَّنْبِ وَعِنْدَ الْمَعْصِيَةِ؛ فَالِاسْتِغْفَارُ وَالتَّوْبَةُ وَالْخُشُوعُ وَالْإِنَابَةُ وَالْعَوْدَةُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ.

يَحْتَجُّ الْعَبْدُ بِالْقَدَرِ عِنْدَ وُقُوعِهِ فِي الْمَعَاصِي، هَذَا لَيْسَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَكِنْ يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ وُقُوعِ الْمُصِيبَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

فَإِذَا وَقَعَ عَلَىٰ الْعَبْدِ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الْأَقْدَارِ غَيْرِ الْمُوَاتِيَةِ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَفْزَعُ إِلَىٰ رَبِّهِ حَامِدًا، وَشَاكِرًا، وَمُنِيبًا، وَمُخْبِتًا، وَخَاشِعًا، وَيَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُعَوِّضَهُ خَيْرًا فِيمَا أَصَابَهُ بِهِ، وَأَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ الْحَقِّ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ) - الْخَمِيسُ ١٤ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢١-٢-٢٠٠٨م.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**»(١). (*).

(١) أخرجه أبو داود: (٤/ ٢٢٥، رقم ٤٦٩٩)، وابن ماجه: (١/ ٢٩ - ٣٠، رقم ٧٧)، من حديث: أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رضي الله عنه.

والحديث صحح إسناده الألباني في هامش «**المشكاة**»: (١/ ٤١، رقم ١١٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» (الْحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَرَ) - الْأَرْبِعَاءُ ٢٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٢٧-١١-٢٠١٣م.

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ

مِنْ أَعْظَمِ السُّبُلِ الْمُوصِلَةِ لِلسَّلَامِ النَّفْسِيِّ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ: هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا فِي اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكِلَةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ، وَتَحْقِيقُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ سِوَاهُ.(*).

التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- كِفَايَةً وَحَسَبًا فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ فِي اعْتِمَادِهِ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ كَفَاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مَا أَهَمَّهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾؛ أَيْ: كَافِيهِ، ثُمَّ طَمْأَنَ الْمُتَوَكِّلَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣]، فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «التَّوَكُّلُ حَقِيقَتُهُ وَآثَارُهُ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٨هـ| ١٠-٢-٢٠١٧م.

فَحَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: أَنْ يَعْتَمِدَ الْعَبْدُ عَلَىٰ اللهِ ﷻ اعْتِمَادًا صَادِقًا فِي مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، مَعَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ الْمَأْذُونِ فِيهَا، هَذِهِ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ.

وَأَمَّا تَرْكُ الْأَسْبَابِ؛ فَذَلِكَ طَعْنٌ فِي الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَتْ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَكَذَلِكَ الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ الْأَسْبَابِ شِرْكٌ.

فَالتَّوَكُّلُ اعْتِقَادٌ وَاعْتِمَادٌ وَعَمَلٌ؛ تَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ كَافِيكَ وَرَاعِيكَ، وَأَنَّهُ كَالِئُكَ، فَهَذَا اعْتِقَادٌ، وَاعْتِمَادٌ: بِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَعَمَلٌ؛ أَيْ: أَخْذٌ بِالْأَسْبَابِ.(*).

التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ شُؤُونِ الْحَيَاةِ؛ بَيْدَ أَنَّ هُنَاكَ مَوَاطِنَ كَثِيرَةً وَرَدَ فِيهَا الْحَضُّ عَلَىٰ التَّوَكُّلِ وَالْأَمْرُ بِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، **وَمِنْ ذَلِكَ**:

*** إِذَا وَصَلَتْ قَوَافِلُ الْقَضَاءِ؛ فَاسْتَقْبِلْهَا بِالتَّوَكُّلِ**: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

*** وَإِذَا نَصَبَتِ الْأَعْدَاءُ حِبَالَاتِ الْمَكْرِ؛ فَادْخُلْ أَنْتَ فِي أَرْضِ التَّوَكُّلِ**: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١].

*** إِذَا خَشِيتَ بَأْسَ أَعْدَاءِ اللهِ وَالشَّيْطَانِ وَالْغَدَّارِ وَالْمَكَّارِ؛ فَلَا تَلْتَجِئْ إِلَّا إِلَىٰ بَابِ اللهِ**: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» - السَّبْتُ ٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٦-٢-٢٠٠٨م.

*** إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَكِيلَكَ فِي كُلِّ حَالٍ؛ فَتَمَسَّكْ بِالتَّوَكُّلِ فِي كُلِّ حَالٍ:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١](*).

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَتَىٰ اعْتَمَدَ الْقَلْبُ عَلَىٰ اللهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَسْلِمْ لِلْأَوْهَامِ، وَلَا مَلَكَتْهُ الْخَيَالَاتُ السَّيِّئَةُ، وَوَثَقَ بِاللهِ وَطَمِعَ فِي فَضْلِهِ؛ انْدَفَعَتْ عَنْهُ بِذَلِكَ الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ، وَزَالَتْ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْقَامِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْقَلْبِيَّةِ، وَحَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالِانْشِرَاحِ وَالسُّرُورِ مَا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ»(٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «التَّوَكُّلُ حَقِيقَتُهُ وَآثَارُهُ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٨هـ| ١٠-٢-٢٠١٧م.

(٢) «الوسائل المفيدة» للشيخ السعدي (ص٢٦).

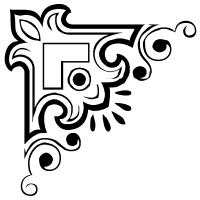

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ:
الرِّضَا بِرِزْقِ اللهِ

إِنَّ مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي تُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ نَفْسِهِ: الْإِيمَانَ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ، وَالْقَنَاعَةَ بِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

«جَمِيعُ مَا دَبَّ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ آدَمِيٍّ وَحَيَوَانٍ بَرِّيٍّ أَوْ بَحْرِيٍّ، فَاللهُ تَعَالَىٰ قَدْ تَكَفَّلَ بِأَرْزَاقِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ، فَرِزْقُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»(١).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ رضي الله عنه فِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**»(٢).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَاعِدَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ فِي أَصْلِ هَذَا الدِّينِ:

* **الْأُولَىٰ**: هِيَ قَاعِدَةُ التَّوَكُّلِ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥) واللفظ له، وصححه الألباني في «تخريج مشكاة المصابيح» (٥٢٢٩).

* **وَالثَّانِيَةُ**: قَاعِدَةُ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَالْحَدِيثُ يُفْهَمُ فَهْمًا مَضْبُوطًا، وَلَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي فَهْمِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْمَغْلُوطِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ بِنَفْسِهِ فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، فَإِنَّ الطَّيْرَ فِي الْوُكُنَاتِ وَفِي الْأَعْشَاشِ لَا تَبْقَىٰ فِي أَعْشَاشِهَا، وَإِنَّمَا تُبَكِّرُ فِي الذَّهَابِ لِالْتِقَاطِ رِزْقِهَا.

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو**...»: وَالْغُدُوُّ: هُوَ الْخُرُوجُ فِي بُكْرَةِ النَّهَارِ، فَتَغْدُو هَذِهِ الطُّيُورُ مِنْ أَعْشَاشِهَا وَوُكُنَاتِهَا مِنْ أَجْلِ الْتِقَاطِ رِزقِهَا، مُبَكِّرَةً مَعَ خُيُوطِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ، سَاعِيَةً فِي أَرْضِ اللهِ، لَكِنَّهَا لَا تَحْمَلُ لِرِزْقِهَا هَمًّا، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَرْزُقُهَا كَمَا رَزَقَهَا الْحَيَاةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْيَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ رِزْقٍ.

وَالْحَيَاةُ وَالْأَجَلُ يَرْتَبِطَانِ بِالرِّزْقِ ارْتِبَاطًا مُبَاشَرًا، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَحْيَا كَائِنٌ حَيٌّ بِغَيْرِ رِزْقٍ، يَقُولُ النَّاسُ: «فُلَانٌ حَيٌّ يُرْزَقُ»، وَلَنْ تَجِدَ أَبَدًا أَنَّ فُلَانًا حَيٌّ لَا يُرْزَقُ، فَارْتِبَاطُ الْأَجَلِ بِالرِّزْقِ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ بِصَيْرُورَةٍ تَمْضِي إِلَىٰ الْمَوْتِ، وَحِينَئِذٍ لَا أَجَلَ وَلَا رِزْق.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الطُّيُورَ تَغْدُو مُبَكِّرَةً مِنْ أَعْشَاشِهَا، تَطْلُبُ رِزْقَهَا، تَلْتَقِطُهُ فِي جَنَبَاتِ الْأَرْضِ، لَا تَحْمِلُ لَهُ هَمًّا، «**خِمَاصًا**»: جَمْعُ أَخْمَصٍ، وَهَذِهِ الْحَوَاصِلُ الْخُمْصُ قَدْ الْتَزَقَتْ لُحُومُهَا بِبَعْضِهَا، بِحَيْثُ

إِنَّهَا لَا تَحْوِي شَيْئًا، «**تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**»: وَقَدْ امْتَلَأَتْ بُطُونُهَا وَحَوَاصِلُهَا، مِنْ أَيْنَ؟!!

مِنْ رِزْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.(*).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُبَاعِدُ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يُقَرِّبُ مِنْ رِزْقٍ أَلَّا يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ**»(٢).

النَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ أَنَّ الْأَمْرَيْنِ الَّذَيْنِ يَخْتَصِمُ بِسَبَبِهِمَا النَّاسُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.. يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْأَجَلَ وَالرِّزْقَ كُلٌّ ذَلِكَ مَسْطُورٌ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَزَلًا، لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَسُوقُ ذَلِكَ مَسَاقَهُ الَّذِي قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَزَلًا، لَا يُبَاعِدُ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يُدَانِي وَلَا يُقَرِّبُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَحْتَاطَ النَّاسُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَلَا أَنْ يَحْذَرُوا، وَلَا أَنْ يَخَافُوا مِنْهُ وَلَا أَنْ يَرْهَبُوا، وَلَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَالْخَلْقُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «قَضِيَّةُ الرِّزْقِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٨هـ| ١٧-٢-٢٠١٧م.

(٢) أخرجه الترمذي: (٤/ ٤٨٣-٤٨٤، رقم ٢١٩١)، وابن ماجه: (٢/ ١٣٢٨، رقم ٤٠٠٧)، من حديث: أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وكذا صحيح لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ٤٧، رقم ٢٧٥١).

صَائِرُونَ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُبَاعِدُ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يُقَرِّبُ مِنْ رِزْقٍ أَلَّا يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ**».

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا؛ فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»(١).

مَسْأَلَةُ الْأَجَلِ، وَمَسْأَلَةُ الْمَوْتِ، وَمَسْأَلَةُ الرِّزْقِ، وَمَسْأَلَةُ الطَّلَبِ؛ كُلُّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَدْ قُدِّرَ أَزَلًا، وَالْمَرْءُ مَسُوقٌ إِلَيْهِ، كَمَا أَنَّهُ مَسُوقٌ إِلَىٰ حَتْفِهِ مَسُوقٌ إِلَىٰ رِزْقِهِ، وَكَمَا أَنَّ الرِّزْقَ يُسَاقُ إِلَيْهِ يَسْعَىٰ إِلَيْهِ أَجَلُهُ، وَلَا مَنْجَىٰ وَلَا مَهْرَبَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ!!(*).

مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ: التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ اللهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَتَهَا وَالتَّحَدُّثَ بِهَا يَدْفَعُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ،

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٨/ ١٩٤، رقم ٧٦٩٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (١٠/ ٢٦)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ.

والحديث صححه بشواهده الألباني في تخريج «مشكلة الفقر»: (ص ١٩ - ٢٠، رقم ١٥)، وفي «صحيح الجامع»: (١/ ٤١٩ - ٤٢٠، رقم ٢٠٨٥)، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، مرفوعا، بنحوه

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الصَّبْرُ عَلَىٰ الْبَلَاءِ».

وَيَحُثُّ الْعَبْدَ عَلَىٰ الشُّكْرِ الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ الْمَرَاتِبِ وَأَعْلَاهَا حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ الْعَبْدُ فِي حَالَةِ فَقْرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا، فَإِنَّهُ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ الَّتِي لَا يُحْصَىٰ لَهَا عَدٌّ وَلَا حِسَابٌ، وَبَيْنَ مَا أَصَابَهُ مِنْ مَكْرُوهٍ؛ لَمْ يَكُنْ لِلْمَكْرُوهِ إِلَىٰ النِّعَمِ نِسْبَةٌ.

بَلِ الْمَكْرُوهُ وَالْمَصَائِبُ إِذَا ابْتَلَىٰ اللهُ بِهَا الْعَبْدَ، وَأَدَّىٰ فِيهَا وَظِيفَةَ الصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ هَانَتْ وَطْأَتُهَا، وَخَفَّتْ مُؤْنَتُهَا، وَكَانَ تَأَمُّلُ الْعَبْدِ لِأَجْرِهَا وَثَوَابِهَا وَالتَّعَبُّدُ للهِ بِالْقِيَامِ بِوَظِيفَةِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا، يَدَعُ الْأَشْيَاءَ الْمُرَّةَ حُلْوَةً، فَتُنْسِيهِ حَلَاوَةُ أَجْرِهَا مَرَارَةَ صَبْرِهَا.

وَمِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: اسْتِعْمَالُ مَا أَرْشَدَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ حَيْثُ قَالَ: «**انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَذَا الْمَلْحَظَ الْجَلِيلَ؛ رَآهُ يَفُوقُ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ فِي الْعَافِيَةِ وَتَوَابِعِهَا، وَفِي الرِّزْقِ وَتَوَابِعِهِ مَهْمَا بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ، فَيَزُولُ قَلَقُهُ وَهَمُّهُ وَغَمُّهُ، وَيَزْدَادُ سُرُورُهُ وَاغْتِبَاطُهُ بِنِعَمِ اللهِ الَّتِي فَاقَ فِيهَا غَيْرَهُ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٥)، ومسلم (٢٩٦٣).

وَكُلَّمَا طَالَ تَأَمُّلُ الْعَبْدِ بِنِعَمِ اللهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ؛ رَأَىٰ رَبَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَدَفَعَ عَنْهُ شُرُورًا مُتَعَدِّدَةً، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا يَدْفَعُ الْهُمُومَ وَالْغُمُومَ، وَيُوجِبُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ.(*).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ**»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١٣-١١-٢٠١٣م.

(٢) أخرجه ابن ماجه والطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٣٣).

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: عَدَمُ الْخَوْفِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْمُوجِبَةِ لِلسُّرُورِ وَزَوَالِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ: السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْهُمُومِ، وَفِي تَحْصِيلِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلسُّرُورِ، وَذَلِكَ بِنِسْيَانِ مَا مَضَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِهِ الَّتِي لَا يُمْكِنُهُ رَدَّهَا، وَمَعْرِفَتُهُ أَنَّ اشْتِغَالَ فِكْرِهِ فِيهَا مِنْ بَابِ الْعَبَثِ وَالْمُحَالِ، وَأَنَّ ذَلِكَ حُمْقٌ وَجُنُونٌ، فَيُجَاهِدُ قَلْبَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِيهَا، وَكَذَلِكَ يُجَاهِدُ قَلْبَهُ عَنْ قَلَقِهِ لِمَا يَسْتَقْبِلُهُ مِمَّا يَتَوَهَّمُهُ مِنْ فَقْرٍ أَوْ خَوْفٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَكَارِهِ الَّتِي يَتَخَيَّلُهَا فِي مُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ الْمُسْتَقْبَلَةَ مَجْهُولٌ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَآمَالٍ وَآلَامٍ، وَأَنَّهَا بِيَدِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، لَيْسَ بِيَدِ الْعِبَادِ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا السَّعْيُ فِي تَحْصِيلِ خَيْرَاتِهَا، وَدَفْعِ مَضَرَّاتِهَا.

وَيَعْلَمُ الْعَبْدُ أَنَّهُ إِذَا صَرَفَ فِكْرَهُ عَنْ قَلَقِهِ مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ، وَاتَّكَلَ عَلَىٰ رَبِّهِ فِي إِصْلَاحِهِ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ.. إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وَصَلُحَتْ أَحْوَالُهُ، وَزَالَ عَنْهُ هَمُّهُ وَقَلَقُهُ.

وَمِنْ أَنْفَعِ مَا يَكُونُ فِي مُلَاحَظَةِ مُسْتَقْبَلِ الْأُمُورِ: اسْتِعْمَالُ هَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهِ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ**

لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٢). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَإِذَا لَهَجَ الْعَبْدُ بِهَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ مُسْتَقْبَلِهِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ وَنِيَّةٍ صَادِقَةٍ، مَعَ اجْتِهَادِهِ فِيمَا يُحَقِّقُ ذَلِكَ؛ حَقَّقَ اللهُ لَهُ مَا دَعَاهُ وَرَجَاهُ وَعَمِلَ لَهُ، وَانْقَلَبَ هَمُّهُ فَرَحًا وَسُرُورًا.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وأحمد (٥/ ٤٢)ـ وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥٠٩٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١٣-١١-٢٠١٣م.

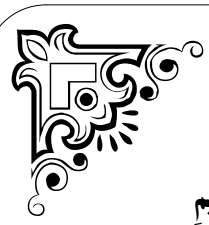

مِنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ:
الدُّعَاءُ وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَى صَفَاءِ النَّفْسِ وَرَاحَةِ الْقَلْبِ وَالسَّلَامِ الذَّاتِيِّ: الدُّعَاءُ وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَالدُّعَاءُ سِلَاحٌ عَظِيمٌ لِدَفْعِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ عَنِ الْقَلْبِ؛ خَاصَّةً أَدْعِيَةُ دَفْعِ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨](*).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ(٣) أَمْرٌ؛ قَالَ: «**يَا حَيُّ! يَا قَيُّومُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»(٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِن: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ الأُولَىٰ: مُقَدِّمَةُ الْمُصَنِّفِ)، الْأَحَدُ ١٩ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ١٠-٩-٢٠١٧م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣٤٥، ٦٣٤٦، ٧٤٢٦، ٧٤٣١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٣٠).

(٣) أَيْ: إِذَا نَزَلَ بِهِ مُهِمٌّ أَوْ أَصَابَهُ غَمٌّ، «النِّهَايَةُ» (حَزَبَ) (١/ ٣٧٧).

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٢٤)، بِلَفْظِ: «إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ»، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٣٣٧)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

=

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ -أَوْ فِي الْكَرْبِ-؟ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١). (*).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ؛ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**»(٣). الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ.(*/٢).

هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي دَعَا بِهَا يُونُسُ عليه السلام وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ؛ فَرَّجَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ بِهَا.

وَكَذَلِكَ يُفَرِّجُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الْإِنْسَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَىٰ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عِنْدَ الْكَرْبِ الْتِفَاتًا خَاصًّا؛ فَإِنَّهُ إِذَا دَعَا بِهَا، ثُمَّ لَمْ يُفَرَّجْ

=

وَحَسَّنَهُ لِشَاهِدِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَخْرِيجِ «الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (تَعْلِيقٌ ٨٧).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٥٢٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (٣٨٨٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (تَعْلِيقٌ ٨٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: فَصْلٌ: فِي الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ)، الْخَمِيسُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ٥-١٠-٢٠١٧م.

(٣) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٥٢٩، رقم ٣٥٠٥)، من حديث: سَعْدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه.

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٢٨٢ و٣٦٣، رقم ١٦٤٤ و١٨٢٦).

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - الْمُحَاضَرَة ١٦ - الِاثْنَيْن ٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٧-١٠-٢٠١٣م.

عَنْهُ، وَلَمْ يُنَجِّهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقِفَ طَوِيلًا مَعَ إِيمَانِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ نَجَاةَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَخَذُوا بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الصَّالِحَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ جَعَلَ هَذِهِ النَّجَاةَ كَنَجَاةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَاطِنِ الْحُوتِ.(*).

وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ وَمِنْ إِدْخَالِهِ الْحُزْنَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ الْهُدُوءِ الرُّوحِيِّ وَالسَّلَامِ النَّفْسِيِّ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

«إِنَّمَا التَّحَدُّثُ خُفْيَةً بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، فَهُوَ الْمُزَيِّنُ لَهَا وَالْحَامِلُ عَلَيْهَا؛ لِيُدْخِلَ الْحُزْنَ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَإِرَادَتِهِ، وَعَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ فَلْيَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ»(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

«أَيْ: أَيُّ وَقْتٍ، وَفِي أَيِّ حَالٍ ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أَيْ: تُحِسُّ مِنْهُ بِوَسْوَسَةٍ، وَتَثْبِيطٍ عَنِ الْخَيْرِ، أَوْ حَثٍّ عَلَىٰ الشَّرِّ، وَإِيعَازٍ إِلَيْهِ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - الْمُحَاضَرَة ١٦ - الِاثْنَيْن ٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٧-١٠-٢٠١٣م.

(٢) «التفسير الميسر» (٥٤٣).

أَيِ: الْتَجِئْ وَاعْتَصِمْ بِاللهِ، وَاحْتَمِ بِحِمَاهُ فَإِنَّهُ ﴿سَمِيعٌ﴾ لِمَا تَقُولُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِنِيَّتِكَ وَضِعْفِكَ، وَقُوَّةِ الْتِجَائِكَ لَهُ، فَسَيَحْمِيكَ مِنْ فِتْنَتِهِ، وَيَقِيكَ مِنْ وَسْوَسَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ»[١].

❊❊❊

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣١٣).

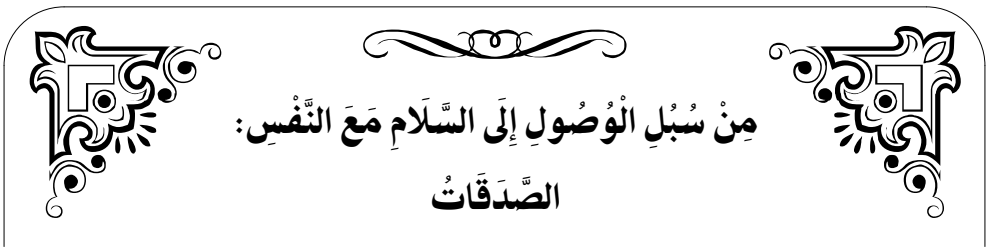

مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَى السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الصَّدَقَاتُ

مِنَ السُّبُلِ الْعَظِيمَةِ لِتَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: الْبَذْلُ وَالْإِحْسَانُ وَالصَّدَقَاتُ؛ فَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: «الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْخَلْقِ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَالنَّفْعِ بِالْبَدَنِ، وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ.

فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ هَمًّا وَغَمًّا.

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَارِبًا المَثَلَ لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1]-: «**كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا هَمَّ الْمُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ؛ حَتَّىٰ يَجُرَّ ثِيَابَهُ وَيُعْفِيَ أَثَرَهُ، وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ لَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، وَلَمْ تَتَّسِعْ عَلَيْهِ**». فَهَذَا مَثَلُ

---

(١) «**صحيح البخاري**»: ٣/ ٣٠٥، رقم (١٤٤٣)، و«**صحيح مسلم**»: ٢/ ٧٠٨ و ٧٠٩، رقم (١٠٢١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدِّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ، وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ»(١).(*).

(١) «**زاد المعاد**»: ٢/ ٢٤ و ٢٥.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَحْزَنْ!» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١٦-١٢-٢٠١٢م.

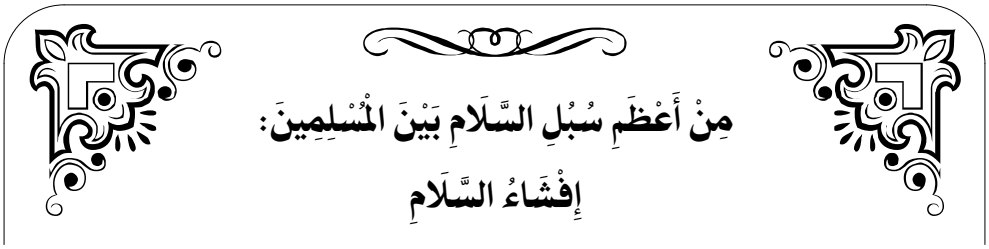

مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ

إِنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّوَادِّ وَالتَّحَابِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُسْلِمُوا، وَلَا تُسْلِمُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، وَأَفْشُوا السَّلَامَ تَحَابُّوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْبُغْضَةَ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ لَكُمْ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ».

«**وَلَا تُسْلِمُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا**»: أَيْ: لَا يَكْمُلُ إِسْلَامُكُمْ إِلَّا بِالتَّحَابِّ.

النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُعَلِّقُ الْإِيمَانَ عَلَىٰ الْمَحَبَّةِ فِي اللهِ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُسْلِمُوا، وَلَا تُسْلِمُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا**».

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَىٰ إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَبَذْلِهِ، وَأَنَّ بَذْلَ السَّلَامِ فِيهِ رَفْعُ التَّقَاطُعِ وَالتَّهَاجُرِ، وَفِيهِ اسْتِجْلَابُ الْمَوَدَّةِ، وَفِيهِ تَمْكِينُ الْأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ تَتَمَكَّنَ الْمَحَبَّةُ فِي قُلُوبِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ**» (٢٦٠)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ**» (١٩٣).

فَأَرْشَدَنَا الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ هَذَا الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْجَسِيمِ.. أَرْشَدَنَا إِلَىٰ الْوُصُولِ إِلَيْهِ مِنْ أَقْرَبِ طَرِيقٍ.

وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ تَأَمَّلَ هَذَا الْحَدِيثَ الْجَلِيلَ لَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ يَسَّرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- تَيْسِيرًا عَظِيمًا؛ لِأَنَّ السَّلَامَ لَا يُكَلِّفُ الْمَرْءَ شَيْئًا.(*).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ».

«**أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا**»: تَسْلَمُوا مِنَ التَّنَافُرِ وَالتَّقَاطُعِ، وَتَدُومُ لَكُمُ الْمَوَدَّةُ، وَتَزُولُ الْإِحَنُ وَالْبَغْضَاءُ مِنْ بَيْنِكُمْ.

«**أَفْشُوا السَّلَامَ**» أَيِ: انْشُرُوا وَأَذِيعُوا وَأَكْثِرُوا مِنْهُ؛ بِأَنْ تُسَلِّمُوا عَلَىٰ مَنْ تَرَوْنَهُمْ تَعْرِفُونَهُمْ أَوْ لَا تَعْرِفُونَهُمْ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ أَسْبَابِ التَّآلُفِ، وَهُوَ مِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ التَّوَدُّدِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَلُزُومِ التَّوَاضُعِ، وَإِعْظَامِ حُرُمَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَفْعِ التَّقَاطُعِ.

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ السَّلَامَ يَبْعَثُ عَلَىٰ التَّحَابُبِ وَيَنْفِي التَّقَاطُعَ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ١١٣٦-١١٤٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ**» (٧٨٧)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**» (١٤٩٣).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٣٣٣٣-٣٣٣٦).

مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ الْآخَرِينَ: سَلَامَةُ الْقَلْبِ لِلْمُسْلِمِينَ

اعْلَمُوا -عِبَادَ اللهِ- أَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ سَلَامَةُ الصَّدْرِ مِنَ الشَّحْنَاءِ..

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ سَلَامَةُ الصُّدُورِ، وَسَخَاوَةُ النَّفْسِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، وَبِهَذِهِ الْخِصَالِ بَلَغَ الذُّرَىٰ مَنْ بَلَغَ.

سَلَامَةُ الصَّدْرِ، سَخَاوَةُ النَّفْسِ، النَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، وَبَذْلُ النَّفْسِ لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا كَانَ نَبِيُّنَا الْأَمِينُ ﷺ، كَانَ فِي حَاجَةِ الْمَرْأَةِ الْمِسْكِينَةِ وَالضَّعِيفِ، كَانَ فِي حَاجَةِ الْكَسِيرِ، كَانَ فِي حَاجَةِ الْحَسِيرِ، كَانَ فِي حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوِزِينَ، كَانَ فِي حَاجَةِ الثَّكَالَىٰ وَالْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ، يَبْذُلُ نَفْسَهُ، وَتَأْخُذُ الْجَارِيَةُ بِكُمِّهِ بِيَدِهِ، تَسِيرُ مَعَهُ فِي أَيِّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ شَاءَتْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ حَاجَتَهَا ﷺ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا حَكَتْ عَائِشَةُ، وَلَمْ تَبْلُغْ بِهِ السُّنُونُ مَبَالِغَهَا؛ فَإِنَّهُ ﷺ قَبَضَهُ رَبُّهُ إِلَيْهِ وَشَيْبُهُ مَعْدُودٌ، شَيَّبَتْهُ هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا؛ خَوْفًا مِنَ اللهِ وَقِيَامًا بِأَمْرِ اللهِ، وَوَصَفَتْهُ عَائِشَةُ مَعَ ذَلِكَ: وَمَا عَلَتْ بِهِ السُّنُونُ، قَالَتْ لَمَّا كَانَ قَدْ أَصَابَهُ وَذَلِكَ حِينَ حَطَمَهُ النَّاسُ، حَطَمَهُ النَّاسُ فِي بِدَايَةِ الْأَمْرِ بِكُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَطُغْيَانِهِمْ وَجَبَرُوتِهِمْ، وَصِرَاعِهِمْ مَعَ الْحَقِّ، وَمُحَاوَلَاتِهِمْ لِطَمْسِ نُورِهِ، وَتَحَمَّلَ

مَا تَحَمَّلَ رَاضِيًا فِي ذَاتِ اللهِ ﷺ؛ حَتَّىٰ أُخْرِجَ مِنْ بَلَدِهِ وَمِنْ دَارِهِ، مِنْ بَلَدِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ وَهُوَ أَوْلَىٰ الْخَلْقِ بِهِ.

وَحُرِمَ مِنْ جِوَارِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَمِنَ السُّجُودِ عِنْدَهُ تَبَتُّلًا للهِ جَلَّوَعَلَا، وَصُدَّ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَهُوَ أَوْلَىٰ الْخَلْقِ بِهِ، وَكَانَ قَدْ جَاءَهُ فِي نُسُكٍ مُحْرِمًا مُعْتَمِرًا قَدْ سَاقَ الْهَدْيَ، فَحُبِسَ الْهَدْيُ فِي مَحِلِّهِ حَتَّىٰ أَكَلَ وَبَرَهُ، وَقَدْ خُلِّدَ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ مَا جَاءَ لِحَرْبٍ، فَصُدَّ وَمَنْ مَعَهُ عَنِ البَيْتِ الْحَرَامِ، وَقَدْ بَنَاهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ، بَنَاهُ إِسْمَاعِيلُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ، حِينَ حَطَمَهُ النَّاسُ بِكَيْدِهِمُ الرَّخِيصِ، بِتَصَوُّرَاتِهِمُ الْهَزِيلَةِ، بِنَزَوَاتِهِمُ الْوَضِيعَةِ، وَعَدَمِ فَهْمِهِمْ، وَسُوءِ قَصْدِهِمْ، وَعَدَمِ إِلْمَامِهِمْ بِجَنَبَاتِ نُفُوسِهِمْ فِي اتِّسَاعِ أُفُقِهَا الْوَضِيءِ، بِوُقُوفِهِمْ عِنْدَ حُدُودِ رَغَبَاتِهِمْ وَكَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، مَعَ اتِّبَاعِهِمْ لِشَيَاطِينِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَالنَّبِيُّ يُصَارِعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، يَتَحَمَّلُ الْأَذَىٰ فِيهِ وَالْمَكْرُوهَ، رَاضِيًا عَنْ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا، يَتَحَمَّلُ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ، وَأَعَزَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُنْدَهُ وَنَصَرَهُمْ، وَأَعْلَىٰ شَأْنَهُمْ، وَفَتَحَ لَهُمُ الْبِلَادَ وَقُلُوبَ الْعِبَادِ، وَمَكَّنَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَمِنْ رِقَابِ الْخَلْقِ، فَسَارُوا فِي ذَلِكَ سِيرَةَ الْحَقِّ، وَلَمْ يَظْلِمُوا وَلَمْ يَحِيفُوا، وَكَانَ مَا كَانَ، وَوَقَعَتْ أُمُورٌ، وَكَانَ فِي حَاجَةٍ إِخْوَانِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ دَاعِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ؛ فِي حَرْبِهِ وَسِلْمِهِ، فِي قِيَامِهِ وَقُعُودِهِ وَعلَىٰ جَنْبٍ ﷺ؛ لِأَنَّهُ بُعِثَ مُعَلِّمًا.

كَانَ ﷺ دَاعِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ، فِي قِيَامِهِ وَفِي ظَعْنِهِ، كَانَ ﷺ دَاعِيًا إِلَىٰ رَبِّهِ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، فِي ضَحِكِهِ وَبُكَائِهِ، فِي مُعَامَلَةِ الْعَدُوِّ وَالصَّدِيقِ، وَفِي مُعَامَلَةِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَفِي مُعَامَلَةِ الْكُفَّارِ الْأَصْلِيِّينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ.

كَانَ يَقْضِي حَاجَاتِ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ حِينَ حَطَمَهُ النَّاسُ، تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «بَذَلَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَبْخَلْ بِشَيْءٍ -حَاشَاهُ- ﷺ»(١).

سَخَاوَةُ النَّفْسِ، وَسَلَامَةُ الصَّدْرِ، وَنَصِيحَةُ الْمُسْلِمِينَ بِهَا مَنْ بَلَغَ الْمَبَالِغَ وَعَلَا الذُّرَىٰ، فَلَا يَقْطَعُ الْمَفَازَةَ إِلَّا الرِّجَالُ، وَمَا يَسْتَطِيعُهُ الرَّجُلُ لَا يَقْوَىٰ عَلَيْهِ الطِّفْلُ حَتَّىٰ يَصِيرَ رَجُلًا؛ فَانْظُرْ -هَدَاكَ اللهُ- أَيْنَ مَحَلُّكَ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

اتَّقُوا الشَّحْنَاءَ، وَيَا مَنْ أَضْمَرَ لِأَخِيهِ السُّوءَ وَبَيَّتَ لَهُ الْإِضْرَارَ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

يَا مَنْ أَضْمَرَ السُّوءَ، وَبَيَّتَ الْمَكِيدَةَ؛ اتَّقِ اللهَ رَبَّكَ، وَنَظِّفْ قَلْبَكَ وَضَمِيرَكَ، وَالْحَيَاةُ مُنْقَضِيَةٌ وَفَانِيَةٌ!(*).

---

(١) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ (٧٣٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: «نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا تَظْلِمْ فِيهِ نَفْسَكَ» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَجَب ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقُ ٢٦-٦-٢٠٠٩م.

فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَه»(١): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ؟

فقال ﷺ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ** -كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ هَذَا أَفْضَلُ النَّاسِ-».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَدُوقُ اللِّسَانِ عَرَفْنَاهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ فِيهِ وَلَا حَسَدَ**».

فَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا سَلَامَةُ الصَّدْرِ وَمَنْ كَانَ عَنِ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ مُنَزَّهًا، وَمِنْ ذَلِكَ مُبَرَّءًا.(*).

إِنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- ذَكَرَ الْقَلْبَ السَّلِيمَ فِي الْقُرْآنِ مَرَّتَيْنِ؛ عِنْدَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ دَاعِيًا رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩].

---

(١) «**صحيح سنن ابن ماجه**» للألباني: ٣/ ٣٧٣، رقم (٣٤١٦)، وأخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: ٢/ ١٤٠٩ و١٤٢٠، رقم (٤٢١٦)، وانظر: «**الصحيحة**»: ٢/ ٦٣٢، رقم (٩٤٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا صَحَّ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٥هـ| ٢٤-٩-٢٠٠٤م.

إِبْرَاهِيمُ -وَهُوَ مَنْ هُوَ عِنْدَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، إِبْرَاهِيمُ عليه السلام أَبُو الْحُنَفَاءِ عليه السلام- إِبْرَاهِيمُ يَعْلَمُ قِيمَةَ الْخِزْيِ فِي الْمُقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْقِيَمَ الزَّائِفَةَ، وَأَنَّ الِانْحِرَافَاتِ الْمُغْرِضَةَ، وَأَنَّ مَا يَتَوَاضَعُ عَلَيْهِ النَّاسُ مِمَّا لَا قِيمَةَ لَهُ عِنْدَ رَبِّ النَّاسِ؛ كُلُّ ذَلِكَ زَائِلٌ هُنَاكَ إِذَا مَا صُفَّتِ الْأَقْدَامُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِيكِ الْعَلَّامِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.. فِي يَوْمِ الزِّحَامِ.

إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يَضْرَعُ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾.

إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يَعْلَمُ أَنَّ الْقِيَمَ جَمِيعَهَا زَائِلَةٌ، لَا اسْتِقْرَارَ لَهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِسَبَبٍ، وَإِلَّا مَا كَانَ مَوْصُولًا بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَعُرْوَتُهُ وُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَأَمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ فَزَائِلٌ زَائِلٌ وَبَاطِلٌ بَاطِلٌ، لَا قِيمَةَ لَهُ وَلَا اسْتِقْرَارَ لَهُ.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ وَلَوْ كَانَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ أُنْفِقَ فِي حَلَالٍ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِلَّا أَنْ يَكُونَ الْبَنُونَ مُخْلَصِينَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ جَاءَ رَبَّهُ بِالْقَلْبِ السَّلِيمِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَدْ جَاءَ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِقَلْبٍ سَلِيمٍ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا ذَكَرَ نُوحًا عليه السلام، وَحَكَىٰ قِصَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ وَأَرْدَفَهُ بِذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[الصافات: ٨٣- ٨٤]؛ إِنَّ مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ عليه السلام.. عَلَىٰ مَنْهَجِهِ فِي صَلَابَةِ التَّوْحِيدِ، وَفِي قُوَّةِ التَّمَسُّكِ بِالدِّينِ الْمَجِيدِ، وَفِي الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَلَقِّيًا وَعَمَلًا وَأَدَاءً لِخَلْقِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ فِي أُصُولِ الدِّينِ، فِي التَّوْحِيدِ، فِي أَصْلِ الدِّينِ الْمَجِيدِ، فِي أَصْلِ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِ الَّذِي مَا جَاءَ نَبِيٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ بِهِ، كُلُّهُمْ يَأْمُرُ قَوْمَهُ أَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وَانْظُرْ فِي هَذَا التَّرْتِيبِ فِي النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ الْمَجِيدِ؛ إِذْ يَذْكُرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَدْ جَاءَ رَبَّهُ -يَعْنِي: جَاءَ إِلَىٰ رَبِّهِ- كَأَنَّمَا يَحْمِلُ قَلْبَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، جَاءَ رَبَّهُ بِهَدِيَّةٍ يُهْدِيهَا إِلَيْهِ، وَيُلْقِيهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَجِيدِ ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وَلَمْ يَقُلِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: جَاءَ رَبَّهُ سَلِيمَ الْقَلْبِ، فَشَتَّانَ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا فِي اللَّفْظِ وَفِي التَّرْكِيبِ وَفِي الْمَعْنَىٰ عَلَىٰ السَّوَاءِ، ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ سَالِمٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَا يَنْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الْقَلْبُ الَّذِي جَاءَ سَالِمًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ إِلَّا الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَعْبُدُهُ، وَأَنَّ لَهُ أَوَامِرَ يَقِفُ عِنْدَهَا عَامِلًا، وَلَهُ نَوَاهٍ يَقِفُ عِنْدَهَا مُنْزَجِرًا.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَقْبَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الْقَلْبَ السَّلِيمَ الَّذِي سَلِمَ مِنْ مَرَضِ الشُّبْهَةِ، وَمِنْ مَرَضِ الشَّهْوَةِ، مِنْ مَرَضِ الشُّبْهَةِ يَعْرِضُ لِلْقَلْبِ، فَيَجْعَلُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ حِجَابًا مِنَ الشَّكِّ، وَمِنَ الْقَلَقِ، وَمِنَ الْحَيْرَةِ، وَمِنَ الْمُرَاجَعَةِ، وَمِنْ عَدَمِ التَّسْلِيمِ، مَرَضُ الشُّبْهَةِ زَائِلٌ هَاهُنَا، عُوفِيَ مِنْهُ الْقَلْبُ السَّلِيمُ.

وَمَرَضُ الشَّهْوَةِ؛ فَلَا أَمْرَ لَهُ مَعَ أَمْرِ اللهِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ إِرَادَةٍ مَعَ إِرَادَةِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مُطِيعٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا شُبْهَةَ فِي قَلْبِهِ وَلَا شَهْوَةَ، وَإِنَّمَا تَسْلِيمُ الْقَلْبِ وَالْقَالَبِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ»، وَتَكَلَّمَ عَنْهُ كَلَامًا يُوحِي بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ ضَعْفٌ؛ لِأَنَّ إِسْنَادَهُ عِنْدَهُ فِيهِ رَجُلٌ مَجْهُولٌ، وَأَمَّا هُوَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ فَبِإِسْنَادٍ حَسَنٍ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ شَاكِرٌ رَحِمَهُ اللهُ، يَقُولُ: «وَأَقَلُّ دَرَجَتِهِ أَنَّهُ حَسَنٌ»؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يُبْلِغْنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابٌ فِي رَفْعِ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجْلِسِ، (٤٨٦٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ: بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، (٣٨٩٦).

وَالْحَدِيث حَسَّنَهُ أحمد شاكر فِي هَامِشِ «**مسند أحمد**»: (٤/ ٢٠، رقم ٣٧٥٩).

وَهُوَ كَذَلِكَ ﷺ؛ بَلْ قَلْبُهُ إِمَامُ الْقُلوبِ السَّلِيمَةِ الَّتِي سَلِمَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالَّتِي لَيْسَ فِيهَا إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِمَحَبَّتِهِ، وَبِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَبِمَعْرِفَتِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ.

النَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُنَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.. أَخْرَجَ بَعْضَهُ، وَالْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُمُ اللهُ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: مَنْ مِنْكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْفِتَنِ؟».

فَقَالُوا: «كُلُّنَا سَمِعْنَاهُ ﷺ».

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّكُمْ تَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْفِتَنِ؛ فِتْنَةِ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَأَمَّا أَنَا فَأُرِيدُ الْفِتْنَةَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ».

فَقَالَ حُذَيْفَةُ: «أَنَا سَمِعْتُهُ».

قَالَ: «أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ».

وَهِيَ إِضَافَةٌ لِلتَّكْرِيمِ وَلِلتَّشْرِيفِ، كَمَا تَقُولُ: بَيْتُ اللهِ، وَكَمَا تَقُولُ: نَاقَةُ اللهِ.

قَالَ: «أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ».

فَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا**».

النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي بِهَذَا التَّمْثِيلِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ عِنْدَ صُنْعِ الْحُصْرِ يَأْتُونَ بِطَاقَاتٍ مِنَ الْأَعْوَادِ، ثُمَّ يَجْعَلُ صَانِعُ الْحُصْرِ عُودًا إِلَىٰ عُودٍ، وَعُودًا إِلَىٰ عُودٍ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا** -أَيْ: أُشْرِبَ الْفِتَنَ عِنْدَمَا تُعْرَضُ عَلَيْهِ- **نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، حَتَّىٰ يَعُودَ هَذَا الْقَلْبُ أَسْوَدَ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وَأَيُّ قَلْبٍ رَدَّهَا** -رَفَضَهَا، تَأَبَّىٰ عَلَيْهَا، اسْتَعْلَىٰ عَلَيْهَا بِطَاعَتِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَعَلَهَا تَحْتَ مَوَاطِئِ الْأَقْدَامِ فِي الرَّدْغَةِ، فِي الْوَحْلِ، فِي الرَّغَامِ[1] حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ -**وَأَيُّ قَلْبٍ رَدَّهَا** -أَيْ: رَدَّ الْفِتَنَ، وَأَعْرَضَ عَنْهَا- **نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ يَصِيرَ هَذَا الْقَلْبُ** -الَّذِي يَرْفُضُ الْفِتَنَ وَيَرُدُّهَا، يَصِيرُ هَذَا الْقَلْبُ- **أَبْيَضَ كَالصَّفَا، لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**».

يَقُولُ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه **لِعُمَرَ** رضي الله عنه: «وَإِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذِهِ الْفِتَنِ -بَيْنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ وَبَيْنَكَ يَا عُمَرُ- إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا لَبَابًا إِذَا كُسِرَ لَنْ يُغْلَقَ مِنْ بَعْدِهَا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ».

قَالَ: «وَيْحَكَ! لَا أَبَا لَكَ! يُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟».

قَالَ: «بَلْ يُكْسَرُ».

قَالُوا: «أَكَانَ عُمَرُ يَعْرِفُ الرَّجُلَ -يَعْنِي: الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِتَنِ- الْبَابَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِتَنِ؟».

قَالَ: «نَعَمْ، كَانَ يَعْرِفُهُ كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ بَعْدَ اللَّيْلَةِ غَدًا»، يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةَ يَقِينٍ.

---

(١) **الرَّغَامُ**: التُّرَابُ.

الْبَابُ هُوَ عُمَرُ رضي الله عنه، وَكَسْرُهُ قَتْلُهُ رضي الله عنه؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ شَهِيدًا عِنْدَ الْمِحْرَابِ فِي مَسْجِدِ سَيِّدِ الْأَحْبَابِ ﷺ فُتِحَ الْبَابُ كَسْرًا، فَلَا يُؤَمَّلُ أَنْ يُرَدَّ بَعْدُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُفْتَحْ، وَإِنَّمَا كُسِرَ كَسْرًا.

قَالَ: «أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟».

فَقَالَ: «نَعَمْ، حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ»(١).

هَذَا هُوَ سِيَاقُ مُسْلِمٍ رحمه الله، وَفِيهِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْفِتَنَ تُعْرَضُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ -عِبَادَ اللهِ- شَيْئًا مِنْ بَعْدِ شَيْءٍ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِشَيْءٍ مِنْ بَعْدِ شَيْءٍ، وَلَا يَأْتِي إِلَيْكَ مُبَاشَرَةً، يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَكَ عَلَىٰ ضَلَالٍ سَوَاءٍ لَا يَسْتَقِيمُ، وَإِنَّمَا يَأْتِي إِلَيْكَ بِفِتْنَةٍ، فَإِنْ رَدَدْتَهَا أَتَىٰ مِنْ بَابٍ آخَرَ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا**» يَعْنِي: خَالَطَتْهُ وَمَازَجَتْهُ، وَأَصْبَحَ مِنْهَا كَالشَّرَابِ فِي الْإِنَاءِ، كَمَا قَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي حَقِّ عُبَّادِ الْعِجْلِ أَنَّهُمْ أُشْرِبُوا مَحَبَّةَ الْعِجْلِ؛ هَؤُلَاءِ خَالَطَتْ قُلُوبَهُمْ مَحَبَّةُ الْعِجْلِ الَّذِي يَأْلَهُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الفِتَنِ: بَابُ الفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، (٧٠٩٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامِ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا..، (١٤٤)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

«فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا -يَعْنِي: أُشْرِبَ الْفِتَنَ-؛ نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَمَا تَزَالُ تِلْكَ النُّكَتُ -أَيْ: تِلْكَ النُّقَطُ- **تَتَرَاكَمُ فِي الْقَلْبِ حَتَّىٰ يَصِيرَ مُرْبَادًّا** -فِيهِ شَيْءٌ مِنْ سَوَادٍ مُخَالِطٌ لِشَيْءٍ مِنْ بَيَاضٍ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَصِيرُ إِلَىٰ أَيِّهِمَا، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ هُوَ مَنْكُوسٌ بَعْدُ، يَقُولُ: «**كَالْكُوزِ مُجَخِّيًّا**»، فَلَا يُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ؛ لِأَنَّ الْكُوزَ لَا يُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ مُعْتَدِلًا، لَا يُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ إِذَا كَانَ مَنْكُوسًا، وَكَذَلِكَ الْقَلْبُ الَّذِي أُشْرِبَ الْفِتَنَ.

وَعِنْدَئِذٍ تَأْتِيهِ آفَتَانِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ أَيَّتِهِمَا، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»، فَإِنَّهُ تَنْعَكِسُ عِنْدَهُ الْآيَاتُ، وَيَجْعَلُ أَمْرَ نَبِيِّهِ ﷺ مَحْكُومًا بِأَمْرِ هَوَاهُ، «**لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**».

وَفِي الْمُقَابِلِ قَلْبٌ أَبْيَضُ مُزْهِرٌ بِنُورِ الْإِيمَانِ، وَجَلَالِ التَّوْحِيدِ، وَاتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، تُنْكَتُ فِيهِ النُّكْتَةُ الْبَيْضَاءُ؛ لِأَنَّهُ يَرُدُّ الْفِتَنَ؛ لِأَنَّهُ كَالصَّفَا، كَالصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ تَزِلُّ عَنْهَا قَطَرَاتُ الْمَاءِ.

وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ فَإِنَّهُ قَلْبٌ كَالْإِسْفِنْجَةِ، يَتَشَرَّبُ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ أَيِّ وَسَطٍ وُضِعَ فِيهِ، فَلَوْ وُضِعَ فِي وَسَطِ الْبَوْلِ لَتَشَرَّبَهُ، وَلَوْ وُضِعَ فِي وَسَطِ الْقَاذُورَاتِ لَتَشَرَّبَهَا، قَلْبٌ تُؤَثِّرُ فِيهِ الْآفَاتُ، وَتُحِيطُ بِهِ الْفِتَنُ مِنْ جَمِيعِ الْجَنَبَاتِ.

وَأَمَّا الْقَلْبُ الْآخَرُ كَالسِّرَاجِ الْمُزْهِرِ، تَزِلُّ عَنْهُ كُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَهُ مِنْ قَطَرَاتٍ بِقَدَرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ذِي الرَّحَمَاتِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُ قُلُوبًا سَلِيمَةً، إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَضَعُ الْإِنْسَانَ فِي إِشْكَالِيَّةِ الْإِنْسَانِ، كَيْفَ تَصِيرُ وَأَنْتَ فِي وَسَطِ الْحَمْأَةِ طَاهِرًا؛ طَاهِرَ الذَّيْلِ، وَطَاهِرَ الْقَلْبِ، وَطَاهِرَ الضَّمِيرِ، وَعَفَّ الْجَنَانِ؟!

كَيْفَ تَصِيرُ وَأَنْتَ تَحُوطُكَ وَتَنُوشُكَ الْأَحْقَادُ.. كَيْفَ تَصِيرُ عَلَىٰ قَدَمِ نَبِيِّكَ ﷺ قَائِمًا وَسَائِرًا؟!

كَيْفَ تَسِيرُ وَالْمُجْتَمَعُ يُحِيطُكَ بِآفَاتِهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَرِمَاحُكَ بِرِمَاحِ آفَاتِهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ؟!!

كَيْفَ تَصِيرُ فِي مَهَابِّ الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ مُتَمَسِّكًا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ؛ لِأَنَّكَ تَعْرِفُ طَرِيقَكَ، وَلِأَنَّكَ تَجْعَلُ الْقَدَمَيْنِ عَلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ؟!!

هَذِهِ الْإِشْكَالِيَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا الْإِنْسَانَ بِمَا حَمَّلَهُ مِنَ الْأَمَانَةِ أَمَانَةِ التَّكْلِيفِ بِـ(افْعَلْ) وَ(لَا تَفْعَلْ)؛ حَيْثُ رَفَضَتْهَا وَأَشْفَقَتْ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا.

هَذِهِ الْإِشْكَالِيَّةُ الْعَظِيمَةُ أَنْ تَحْتَفِظَ بِنَقَائِكَ وَبِطَهَارَتِكَ وَأَنْتَ فِي وَسَطِ الْحَمْأَةِ، أَنْ تُحَافِظَ عَلَىٰ نَظَافَةِ ثَوْبِكَ وَجَنَانِكَ وَبَدَنِكَ وَضَمِيرِكَ وَفُؤَادِكَ وَأَنْتَ فِي وَسَطِ بَوْلٍ وَعَذِرَةٍ وَقَاذُورَاتٍ مِمَّا يَنُوشُكَ مِنْ أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَتَعَامُلَاتِ النَّاسِ، وَأَنْتَ تَأْخُذُ بِالْقَانُونِ الْأَكْبَرِ الَّذِي قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ رضي الله عنهم: «مَا عَاقَبْتَ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللهَ فِيهِ»[1].

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو الطَّاهِرِ المخَلِّصُ فِي «**الْمُخَلِّصِيَّاتِ**»: (٤/ ٨٣، رقم ٣٠٣٩)، وَالْخَطِيبُ فِي «**الْمُتَّفِقِ والْمُفْتَرِقِ**»: (١/ ٣٠٤، رقم ١٤١)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «**تَارِيخِ دِمَشْقَ**»: =

يَقُولُ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ ﷺ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ رضي الله عنه-: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» كَيْفَ؟!! فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُقَدَّرَاتِ أَتُحِبُّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ؟!!

دُونَهَا خَرْطُ الْقَتَادِ!!

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَبْلُغُ الرَّجُلُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**». وَهَذَا السِّيَاقُ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ، وَهُوَ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

«**لَا يَبْلُغُ الرَّجُلُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِلنَّاسِ مُطْلَقِ النَّاسِ.. يُحِبُّ لَهُمْ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ.

أَمَّا الْكَافِرُ فَيُحِبُّ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ، وَأَنْ يُسْلِمَ زِمَامَهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّهُ كَذَلِكَ كَانَ الْأَمِينُ الْأَكْبَرُ ﷺ حَتَّىٰ عَاتَبَهُ رَبُّهُ جَلَّوَعَلَا مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ وَمِنْ سُوءِ

=

(٤٤/ ٣٦٠)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: «وَضَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لِلنَّاسِ ثَمَانِي عَشْرَةَ كَلِمَةً حِكَمًا كُلَّهَا،: وذكره...».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الإِيمَانِ: بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، (١٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ...، (٤٥).

مَا يَجِدُ مِنْ أَلَمِ الْحُزْنِ الْمُمِضِّ بِجَنْبِهِ حُزْنًا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَسِيرُونَ بِأَقْدَامِهِمْ إِلَىٰ حَيْثُ هَاوِيَةُ النَّارِ، وَبِئْسَ الْقَرَارُ، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

لَعَلَّكَ قَاتِلٌ نَفْسَكَ حُزْنًا وَغَمًّا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ الْإِيمَانَ، وَيَرْفُضُونَ الْإِسْلَامَ، وَيُرِيدُونَ الْكُفْرَانَ، وَيَرُدُّونَ أَمْرَ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، وَيَرُدُّونَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ ﷺ، وَيَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي فَمِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

«حَتَّىٰ يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، تُحِبُّ لِلْكَافِرِ الْإِسْلَامَ، تُحِبُّ لِلْعَالَمِ أَنْ يُطْبِقَ عَلَىٰ قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، تَأْخُذُهُمْ فِي الْأَغْلَالِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ دَارَ السَّلَامِ، كَذَلِكَ شَأْنُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَتَرَىٰ هَاهُنَا ظِلًّا لِغِلٍّ؟!!

أَتَرَىٰ هَاهُنَا بَقِيَّةً مِنْ حَسَدٍ؟!!

أَتَرَىٰ هَاهُنَا أَثَارَةً مِنْ حِقْدٍ؟!!

كَلَّا وَاللهِ، وَإِنَّمَا هُوَ قَلْبٌ خَالِصٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ الَّذِي يَنْطَوِي عَلَىٰ أَيِّ شَائِبَةٍ مِنْ حَسَدٍ، أَوْ أَيِّ شَائِبَةٍ مِنْ حِقْدٍ، أَوْ أَيِّ أَثَارَةٍ مِنْ غِلٍّ، أَوْ أَيِّ أَثَارَةٍ مِنْ دَغَلٍ؛ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ الَّذِي لَا يُنْقَذُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَنْجُو مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا هُوَ بِرَحْمَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْمَرْءَ لَيَتَأَمَّلُ مَلِيًّا، وَيَقِفُ مَاكِثًا مُكْثًا طَوِيلًا؛ بَلْ يَثْوِي[١] ثَوَاءً مُسْتَمِرًّا عِنْدَ هَذَا الْمَعْنَىٰ وَحْدَهُ، يَتَأَمَّلُ فِيهِ؛ كَيْفَ يَكُونُ الْقَلْبُ سَلِيمًا مِمَّا سِوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سَالِمًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟!!

كَيْفَ؟!! كَيْفَ بِاللهِ عَلَيْكَ؟!!

أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْتِيَ بِالْوَصْفَةِ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ بِهَا أَنْ يَكُونَ سَلِيمَ الْقَلْبِ؛ حَتَّىٰ يُنْقَذَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ بِالنِّيرَانِ، وَحَتَّىٰ يَحْيَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَأْتِي بِمَا يُحِبُّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيَرْضَاهُ؟!!

كَيْفَ وَالْقُلُوبُ مُنْطَوِيَةٌ عَلَىٰ مَا هِيَ مُنْطَوِيَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الْغِلِّ، وَمِنَ الْحِقْدِ، وَمِنَ الدَّغَلِ، وَمِنَ الْحَسَدِ، وَمِنَ النُّفْرَةِ، مُنْطَوِيَةٌ عَلَىٰ الْأَثَرَةِ وَحُبِّ الْأَنَا، وَرِفْعَةِ مَحَبَّةِ الذَّاتِ فِي سَوَائِهَا، لَا تَكَادُ تَسْتَقِيمُ وَلَا تَذُوقُ لَذَّةَ الْيَقِينِ، وَلَا تَكَادُ تَسْتَشْعِرُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ.

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»[٢].

---

(١) يَثْوِي: يُقِيمُ وَيَسْتَقِرُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَدَبِ: بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، (٦٠١١)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ، (٢٥٨٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

أَتُحِسُّهَا؟!! أَتَجِدُ لَهَا فِي نَفْسِكَ ظِلًّا؟!! بَلْ أَتَجِدُ لَهَا فِي عَقْلِكَ مَعْنًىٰ أَنَّكَ عُضْوٌ فِي جَسَدٍ، أَنَّكَ بَعْضٌ مِنْ جُثْمَانٍ قَائِمٍ حَيٍّ يُحِسُّ وَيَشْعُرُ، وَيُحِبُّ وَيَكْرَهُ، وَيُسَرُّ وَيَحْزَنُ، وَيَرُوحُ وَيَجِيءُ؛ كَأَنَّمَا هُوَ قَدْ مَلَأَ الْعَالَمَ، كُلَّهُ كَأَنَّمَا هُوَ قَدْ مَلَأَ الْوُجُودَ بِأَجْمَعِهِ؟!!

أَتُحِسُّ أَنَّكَ بَعْضٌ مِنْ أَخِيكَ، وَأَنَّهُ بَعْضٌ مِنْكَ؟!!

كَذَلِكَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الصَّحَابِيُّ يَلْقَىٰ أَخَاهُ بَاكِيًا، فَيَبْكِي لِمَرْآهُ بَاكِيًا، ثُمَّ إِذَا مَا قَضَىٰ مَعَهُ نَهْمَتَهُ مِنَ الْبُكَاءِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟!!

يَقُولُ لَهُ: وَأَنْتَ مَا الَّذِي يُبْكِيكَ؟!!

يَكْفِي أَنِّي رَأَيْتُكَ بَاكِيًا، يَكْفِي أَنِّي أُحِسُّ أَلَمَ الْحُزْنِ فِي صَدْرِكَ، فَيَنْبَعِثُ بِنَبْضَاتِهِ كَأَنَّمَا نُقِلَ قَلْبُكَ فِي صَدْرِي، أُحِسُّ إِحْسَاسَكَ، وَأَجِدُ شُعُورَكَ، وَأَتَجَاوَبُ مَعَكَ؛ لِأَنَّهَا لُغَةُ الْأَرْوَاحِ وَلُغَةُ الْقُلُوبِ، وَلَيْسَتْ بِلُغَةِ الْأَجْسَادِ، وَلُغَةِ الْحِجَارَةِ، وَلُغَةِ الْحَدِيدِ، وَإِنَّمَا هِيَ لُغَةٌ شَفَّافَةٌ شَفِيفَةٌ، إِنَّمَا هِيَ لُغَةٌ نَابِضَةٌ رَهِيفَةٌ، لُغَةُ قَلْبٍ يَسْتَشْعِرُ قَلْبًا.

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَكَذَا أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه **قَالَ**: «شَتَمَ رَجُلٌ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فَقَالَ: إِنْ شَتَمْتَنِي إِنَّ فِيَّ لَثَلَاثَ خِصَالٍ.

مَا هِيَ؟

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنِّي لَأَمُرُّ عَلَىٰ الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَوَدِدْتُ وَلَأَحْبَبْتُ وَلَتَمَنَّيْتُ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يَعْلَمُ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ».

وَعِلْمُهُ فِيهَا لَا يُبَارَىٰ رضي الله عنه؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لَهُ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**».

إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ يَمُرُّ عَلَىٰ الْآيَةِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَيَرْجُو وَيُحِبُّ لَوْ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَعْلَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَعْلَمُ هُوَ.

وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «**وَأَمَّا الْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ**؛ فَإِنِّي أَسْمَعُ عَنِ الْقَاضِي مِنْ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ.. أَسْمَعُ أَنَّهُ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ، فَأَفْرَحُ لِذَلِكَ وَأُسَرُّ بِهِ، وَلَعَلِّي لَا أُقَاضَىٰ لَهُ أَبَدًا، وَلَا أَمْثُلُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُقَاضِيًا لِأَحَدٍ وَلَا مُقَاضًىٰ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا.

يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، وَيَسِيرُ عَلَىٰ السَّوِيَّةِ، وَيُعْطِي وَيَتَرَفَّعُ عَنِ الدَّنِيَّةِ فَأَفْرَحُ، وَلَعَلِّي لَا يَنَالُنِي مَعْرُوفُهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ؛ وَلَكِنَّهُ يُصِيبُ بِعَدْلِهِ وَيُصِيبُ بِبُعْدِهِ عَنِ الْجَوْرِ طَائِفَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُمْ بَعْضِي وَأَنَا بَعْضُهُمْ، هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّنَا جَسَدٌ وَاحِدٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ؛ فَأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ يَنْزِلُ عَلَىٰ الْبَلَدِ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَتْ لِي فِيهِ مِنْ سَائِمَةٍ»[1]، وَلَيْسَتْ لِي بِهِ مِنْ رَاعِيَةٍ، لَيْسَتْ لِي بِهِ مِنْ أَغْنَامٍ وَلَا إِبِلٍ،

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «**الْكَبِيرِ**»: (١٠/ ٢٦٦، رقم ١٠٦٢١)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «**الْحِلْيَةِ**»: (١/ ٣٢١)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «**الشُّعَبِ**»: (١٣/ ٤٦٦، رقم ١٠٦٢٤).

وَلَيْسَ لِي بِهِ مِنْ حَاجَةٍ وَلَا مَصْلَحَةٍ؛ وَلَكِنَّنِي أَفْرَحُ لِأَنَّ مَطَرًا أَصَابَ بَلَدًا تُخْرِجُ نَبْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَتِهِ لِأُنَاسٍ يُوَحِّدُونَ وَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

الْآنَ تُحِسُّ مِثْلَ هَذَا الْإِحْسَاسِ، وَتَجِدُ مِثْلَ هَذَا الشُّعُورِ؟!!

شَتَّانَ شَتَّانَ، إِنَّمَا هِيَ جُزُرٌ مُعَلَّقَةٌ هُنَالِكَ فِي عُرْضِ الْمُحِيطِ تَتَلَاطَمُ بِهَا الْأَمْوَاجُ، وَتَصْفَعُهَا وَجْهًا لِقَفًا، وَهِيَ مُنْعَزِلَةٌ تَنُوحُ عَلَيْهَا الرِّيَاحُ الْأَرْبَعُ الصَّرْصَرُ، وَتَتَنَاوَشُهَا أَمْوَاجُ الْبَحْرِ بِزَبَدِهَا، هِيَ لَا تَبِينُ وَلَا تُفْصِحُ عَمَّا تُرِيدُ، وَلَا يُحِسُّ بِهَا أَحَدٌ، وَلَا تُحِسُّ بِأَحَدٍ، وَمَا كَذَلِكَ يَكُونُ الشَّأْنُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكُلُّهُمْ إِخْوَةٌ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، كَمَا قَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ -عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَىٰ التَّسْلِيمِ-: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧- ٨٩].

وَهِيَ لَفْظَةٌ مُوحِيَةٌ بِذَاتِهَا، مُعَبِّرَةٌ بِجَرْسِهَا وَأَدَائِهَا، لَوْ أَرَادَ إِنْسَانٌ أَنْ يَشْرَحَهَا أَفْسَدَ فِي الْأَسْمَاعِ مَذَاقَهَا وَفِي الْقُلُوبِ حَلَاوَتَهَا، ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ سَالِمٍ مِنْ كُلِّ مَنْ سِوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُنْطَوٍ عَلَىٰ إِكْبَارِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِعْزَازِ أَمْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَحَبَّةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ.

سَلِيمٌ يَعْنِي: هُوَ ضِدُّ الْعَلِيلِ، ضِدُّ السَّقِيمِ، ضِدُّ الْمَرِيضِ، قَلْبٌ هُوَ غَيْرُ مَرِيضٍ.

فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا قُلُوبًا بَرِيئَةً مِنَ الْمَرَضِ شَهْوَةً وَشُبْهَةً يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَلَقَدْ مَضَىٰ عَلَيَّ حِقْبَةٌ مِنَ الدَّهْرِ وَحِينٌ مِنْهُ مُتَطَاوِلٌ لَا يَرِيمُ؛ كَأَنَّهُ لَيْلَةٌ نَابِغِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ صُبْحٍ يَسْتَبِينُ ضِيَاؤُهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ: أَتَسْمَعُ بِالرَّجُلِ تَعْرِفُهُ وَتَعْلَمُهُ وَتُحَقِّقُهُ، بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الْمَوَدَّةُ وَالنَّسَبُ، وَالْقَرَابَةُ الْقَرِيبَةُ وَالصِّلَةُ الْوَثِيقَةُ، وَالنَّسَبُ الْمَتِينُ، تَسْمَعُ عَنِ الرَّجُلِ تُصِيبُهُ النِّعْمَةُ، ثُمَّ لَا تَجِدُ فِي قَلْبِكَ لَذْعًا كَلَذْعِ الْجَمْرِ وَلَوْ كَانَ خَفِيفًا؟!!

حَاشَا وَكَلَّا، تَجِدُهُ وَتَجِدُهُ، وَمَنْ قَالَ أَنَّهُ لَا يَجِدُهُ فَمَا مَكَانُهُ هَاهُنَا، وَإِنَّمَا مَكَانُهُ هُنَاكَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ، وَنِعْمَ الْقَرَارُ.

وَأَمَّا هَاهُنَا فِي دُنْيَا النَّاسِ وَفِي هَذَا الْوَقْتِ مِمَّا يُعَاصِرُهُ الْخَلْقُ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ؛ فَتَجِدُ لَهُ أَخَفَّ وَطْءٍ كَلَذْعِ الْجَمْرِ، فَلَذْعُ الْجَمْرِ هُوَ أَخَفُّ وَطْءٍ مِمَّا يَجِدُهُ الرَّجُلُ عِنْدَمَا يَعْلَمُ أَنَّ النِّعْمَةَ أَصَابَتْ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ -وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ-.

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «**لَا يُخْبِرُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابٌ فِي رَفْعِ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجْلِسِ، (٤٨٦٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ: بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، (٣٨٩٦)، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

تَأْتُونَ مَا تَأْتُونَ، وَتَفْعَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ، وَيُخَالِفُ الْمُخَالِفُونَ، وَيُعَانِدُ الْمُعَانِدُونَ، وَيُشَاقُّ الْمُشَاقُّونَ، وَيُحَادُّ الْمُحَادُّونَ؛ وَلَكِنْ لَا أُرِيدُ أَنْ أَعْلَمَ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَأَخْرُجَ إِلَيْكُمْ مُتَعَادِلًا عِنْدِي جَمِيعُهُمْ سَوَاءٌ، هُمْ جَمِيعًا عِنْدِي عَلَىٰ السَّوَاءِ، أَخْرُجُ إِلَيْكُمْ سَلِيمَ الصَّدْرِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَيْنَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ؟».

جُمْلَةٌ جَامِعَةٌ مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ

حَرِيٌّ بِالْعَبْدِ الْمُنِيبِ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ: مَتَىٰ يَجِدُ قَلْبِي مُسْتَقَرَّهُ؟!!

وَمَتَىٰ يَخْلُصُ مِنْ ضِيقِهِ، وَيَنْعَمُ بِشَرْحِهِ؟!!

وَمَتَىٰ يَأْتِي الِاطْمِئْنَانُ وَالِاسْتِقْرَارُ وَالْهُدُوءُ وَالنَّضَارُ؟!!

وَمَتَىٰ يَخْلُصُ الْعَبْدُ مِنَ الْحَزَنِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْكَرْبِ وَمَا يَسُوءُ؟!!

«**إِنَّ أَعْظَمَ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: التَّوْحِيدُ،** وَعَلَىٰ حَسَبِ كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَسِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فَالْهُدَىٰ وَالتَّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ.

وَالشِّرْكُ وَالضَّلَالُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضِيقِ الصَّدْرِ وَانْحِرَاجِهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: النُّورُ الَّذِي يَقْذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانُ؛ فَإِنَّهُ يُشْرِحُ الصَّدْرَ وَيُوَسِّعُهُ، وَيُفْرِحُ الْقَلْبَ، فَإِذَا فُقِدَ هَذَا النُّورُ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ؛ ضَاقَ وَأَصَابَهُ الْحَرَجُ، وَصَارَ فِي أَضْيَقِ سِجْنٍ وَأَصْعَبِهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: الْعِلْمُ؛ فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُوَسِّعُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَالْجَهْلُ يُورِثُ الصَّدْرَ الضِّيقَ وَالْحَصَرَ وَالْحَبْسَ، فَكُلَّمَا اتَّسَعَ عِلْمُ الْعَبْدِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَاتَّسَعَ، وَلَيْسَ هَذَا لِكُلِّ عِلْمٍ، بَلْ لِلْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، فَأَهْلُ الْعِلْمِ النَّافِعِ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَوْسَعُهُمْ قُلُوبًا، وَأَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، وَأَطْيَبُهُمْ عَيْشًا، وَأَنْعَمُهُمْ مَعِيشَةً، وَأَقَرُّهُمْ عَيْنًا.

وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ: الْإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَمَحَبَّتُهُ بِكُلِّ الْقَلْبِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَالتَّنَعُّمُ بِعِبَادَتِهِ، فَلَا شَيْءَ أَشْرَحُ لِصَدْرِ الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَقُولُ -أَحْيَانًا-: إِنْ كُنْتُ فِي الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ فَإِنِّي -إِذَنْ- لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.

وَلِلْمَحَبَّةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَطِيبِ النَّفْسِ، وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ أَحَسَّ بِهِ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ أَقْوَىٰ وَأَشَدَّ كَانَ الصَّدْرُ أَفْسَحَ وَأَشْرَحَ»(١).

---

(١) «زَادُ الْمعَاد» (٢/ ٢٢ وَمَا بَعدَهَا).

أَيْنَ يَجِدُ الْمَرْءُ رَاحَةَ قَلْبِهِ؟!!

وَأَيْنَ يَجِدُ الْمَرْءُ صَلَاحَ بَالِهِ، وَانْشِرَاحَ صَدْرِهِ، وَرَاحَةَ بَدَنِهِ؟!!

كُلُّ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ اللهِ، «وَتَحْتَ هَذَا سِرٌّ عَظِيمٌ مِنْ أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يَطْمَئِنُّ وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مِمَّا يُحَبُّ وَيُرَادُ فَمُرَادٌ لِغَيْرِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْمَحْبُوبُ لِذَاتِهِ إِلَّا وَاحِدًا إِلَيْهِ الْمُنْتَهَىٰ.

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الْمُنْتَهَىٰ إِلَىٰ اثْنَيْنِ، كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءُ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ اثْنَيْنِ.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْمَحْبُوبُ لِذَاتِهِ إِلَّا وَاحِدًا إِلَيْهِ الْمُنْتَهَىٰ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الْمُنْتَهَىٰ إِلَىٰ اثْنَيْنِ كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءُ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ اثْنَيْنِ.

فَمَنْ كَانَ انْتِهَاءُ مَحَبَّتِهِ هُوَ رَغْبَتُهُ هُوَ إِرَادَتُهُ وَطَاعَتُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، بَطَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَزَالَ عَنْهُ، وَفَارَقَهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ.

وَمَنْ كَانَ انْتِهَاءُ مَحَبَّتِهِ وَرَغْبَتِهِ وَرَهْبَتِهِ وَطَلَبِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ، ظَفِرَ بِنَعِيمِهِ وَلَذَّتِهِ وَبَهْجَتِهِ وَسَعَادَتِهِ أَبَدَ الْآبَادِ.

وَالْعَبْدُ دَائِمًا مُتَقَلِّبٌ بَيْنَ أَحْكَامِ الْأَوَامِرِ وَأَحْكَامِ النَّوَازِلِ.

وَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَقُولُ عِنْدَ الْأَمْرِ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَعِنْدَ الْخَبَرِ: سَمِعْنَا وَصَدَّقْنَا، فَهُوَ مُحْتَاجٌ بَلْ مُضْطَرٌّ إِلَىٰ الْعَوْنِ عِنْدَ الْأَوَامِرِ، وَإِلَىٰ اللُّطْفِ عِنْدَ النَّوَازِلِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ قِيَامِهِ بِالْأَوَامِرِ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ اللُّطْفِ عِنْدَ النَّوَازِلِ.

فَإِنْ كَمَّلَ الْقِيَامَ بِالْأَوَامِرِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا نَالَهُ اللُّطْفُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَإِنْ قَامَ بِصُوَرِهَا دُونَ حَقَائِقِهَا نَالَ اللُّطْفَ فِي الظَّاهِرِ، وَقَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ اللُّطْفِ فِي الْبَاطِنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا اللُّطْفُ الْبَاطِنُ؟

فَالْجَوَابُ: هُوَ مَا يَحْصُلُ لِلْقَلْبِ عِنْدَ النَّوَازِلِ مِنَ السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَزَوَالِ الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ وَالْجَزَعِ.

فَيَسْتَخْذِي بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ ذَلِيلًا لَهُ مُسْتَكِينًا، نَاظِرًا إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، سَاكِنًا إِلَيْهِ بِرُوحِهِ وَسِرِّهِ، قَدْ شَغَلَهُ مُشَاهَدَةُ لُطْفِهِ بِهِ عَنْ شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ، وَقَدْ غَيَّبَهُ عَنْ شُهُودِ ذَلِكَ مَعْرِفَتُهُ بِحُسْنِ اخْتِيَارِهِ لَهُ، وَأَنَّهُ عَبْدٌ مَحْضٌ يُجْرِي عَلَيْهِ سَيِّدُهُ أَحْكَامَهُ رَضِيَ أَمْ سَخِطَ.

فَإِنْ رَضِيَ نَالَ الرِّضَا، وَإِنْ سَخِطَ فَحَظُّهُ السَّخَطُ.

فَهَذَا اللُّطْفُ الْبَاطِنُ ثَمَرَةُ تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ الْبَاطِنَةِ يَزِيدُ بِزِيَادَتِهَا، وَيَنْقُصُ بِنُقْصَانِهَا»[1].

فَنَعِيمُ الدُّنْيَا فِي سُكُونِ الْقَلْبِ إِلَىٰ اللهِ، وَرِضَا الْفُؤَادِ عَنِ اللهِ، وَانْطِرَاحِ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ.[*].

---

(١) «الفَوَائِد» (ص: ٢٠٢ وَمَا بَعدَهَا).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا تَحْزَنْ!» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١٦-١٢-٢٠١١م.

الْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتَهُ الصَّحِيحَةَ حَيَاةُ السَّعَادَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَأَنَّهَا قَصِيرَةٌ جِدًّا، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَصِّرُهَا بِالْهَمِّ وَالِاسْتِرْسَالِ مَعَ الْأَكْدَارِ، فَإِنَّ ذَلِكَ ضِدُّ الْحَيَاةِ الصَّحِيحَةِ، فَيَشِحُّ بِحَيَاتِهِ أَنْ يَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنْهَا نَهْبًا لِلْهُمُومِ وَالْأَكْدَارِ، وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا بَيْنَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ لَهُ مِنَ التَّحَقُّقِ بِهَذَا الْوَصْفِ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَالنَّصِيبُ النَّافِعُ الْعَاجِلُ وَالْآجِلُ.

وَيَنْبَغِي -أَيْضًا- إِذَا أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ أَوْ خَافَ مِنْهُ أَنْ يُقَارِنَ بَيْنَ بَقِيَّةِ النِّعَمِ الْحَاصِلَةِ لَهُ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ، وَبَيْنَ مَا أَصَابَهُ مِنْ مَكْرُوهٍ، فَعِنْدَ الْمُقَارَنَةِ يَتَّضِحُ كَثْرَةُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَاضْمِحْلَالُ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْمَكَارِهِ.

وَكَذَلِكَ يُقَارِنُ بَيْنَ مَا يَخَافُهُ مِنْ حُدُوثِ ضَرَرٍ عَلَيْهِ، وَبَيْنَ الِاحْتِمَالَاتِ الْكَثِيرَةِ فِي السَّلَامَةِ مِنْهَا، فَلَا يَدَعُ الِاحْتِمَالَ الضَّعِيفَ يَغْلِبُ الِاحْتِمَالَاتِ الْكَثِيرَةَ الْقَوِيَّةَ، وَبِذَلِكَ يَزُولُ هَمُّهُ وَخَوْفُهُ، وَيُقَدِّرُ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الِاحْتِمَالَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُصِيبَهُ، فَيُوَطِّنُ نَفْسَهُ لِحُدُوثِهَا إِنْ حَدَثَتْ، وَيَسْعَىٰ فِي دَفْعِ مَا لَمْ يَقَعْ مِنْهَا وَفِي رَفْعِ مَا وَقَعَ أَوْ تَخْفِيفِهِ.

وَمِنَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ: أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ أَذِيَّةَ النَّاسِ لَكَ وَخُصُوصًا فِي الْأَقْوَالِ السَّيِّئَةِ لَا تَضُرُّكَ، بَلْ تَضُرُّهُمْ، إِلَّا إِنْ أَشْغَلْتَ نَفْسَكَ فِي الِاهْتِمَامِ بِهَا، وَسَوَّغْتَ لَهَا أَنْ تَمْلِكَ مَشَاعِرَكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَضُرُّكَ كَمَا ضَرَّتْهُمْ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَضَعْ لَهَا بَالًا لَمْ تَضُرَّكَ شَيْئًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ حَيَاتَكَ تَبَعٌ لِأَفْكَارِكَ، فَإِنْ كَانَتْ أَفْكَارًا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْكَ نَفْعُهُ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا فَحَيَاتُكَ طَيِّبَةٌ سَعِيدَةٌ، وَإِلَّا فَالْأَمْرُ بِالْعَكْسِ.

وَمِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِطَرْدِ الْهَمِّ: أَنْ تُوَطِّنَ نَفْسَكَ عَلَىٰ أَلَّا تَطْلُبَ الشُّكْرَ إِلَّا مِنَ اللهِ، فَإِذَا أَحْسَنْتَ إِلَىٰ مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْكَ أَوْ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَقٌّ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا مُعَامَلَةٌ مِنْكَ مَعَ اللهِ، فَلَا تُبَالِ بِشُكْرِ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ- فِي حَقِّ خَوَاصِّ خَلْقِهِ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

وَيَتَأَكَّدُ هَذَا فِي مُعَامَلَةِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَمَنْ قَوِيَ اتِّصَالُكَ بِهِمْ، فَمَتَىٰ وَطَّنْتَ نَفْسَكَ عَلَىٰ إِلْقَاءِ الشَّرِّ عَنْهُمْ فَقَدْ أَرَحْتَ وَاسْتَرَحْتَ، وَمِنْ دَوَاعِي الرَّاحَةِ أَخْذُ الْفَضَائِلِ وَالْعَمَلُ عَلَيْهَا بِحَسَبِ الدَّاعِي النَّفْسِي دُونَ التَّكَلُّفِ الَّذِي يُقْلِقُكَ، وَتَعُودُ عَلَىٰ أَدْرَاجِكَ خَائِبًا مِنْ حُصُولِ الْفَضِيلَةِ، حَيْثُ سَلَكْتَ الطَّرِيقَ الْمُلْتَوِيَ، وَهَذَا مِنَ الْحِكْمَةِ، وَأَنْ تَتَّخِذَ مِنَ الْأُمُورِ الْكَدِرَةِ أُمُورًا صَافِيَةً حُلْوَةً، وَبِذَلِكَ يَزِيدُ صَفَاءُ اللَّذَّاتِ، وَتَزُولُ الْأَكْدَارُ.

اجْعَلِ الْأُمُورَ النَّافِعَةَ نُصْبَ عَيْنَيْكَ وَاعْمَلْ عَلَىٰ تَحْقِيقِهَا، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَىٰ الْأُمُورِ الضَّارَّةِ لِتَلْهُوَ بِذَلِكَ عَنِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلَّهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَاسْتَعِنْ بِالرَّاحَةِ وَإِجْمَاعِ النَّفْسِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الْمُهِمَّةِ.

وَمِنَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ: حَسْمُ الْأَعْمَالِ فِي الْحَالِ وَالتَّفَرُّغِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ إِذَا لَمْ تُحْسَمِ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ بَقِيَّةُ الْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ، وَانْضَافَتْ إِلَيْهَا الْأَعْمَالُ اللَّاحِقَةُ، فَتَشْتَدُّ وَطْأَتُهَا، فَإِذَا حَسَمْتَ كُلَّ شَيْءٍ بِوَقْتِهِ أَتَيْتَ الْأُمُورَ الْمُسْتَقْبَلَةَ بِقُوَّةِ تَفْكِيرٍ وَقُوَّةِ عَمَلٍ.

وَيَنْبَغِي أَنْ تَتَخَيَّرَ مِنَ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ الْأَهَمَّ فَالْأَهَمّ، وَمَيِّزْ بَيْنَ مَا تَمِيلُ نَفْسُكَ إِلَيْهِ وَتَشْتَدُّ رَغْبَتُكَ فِيهِ، فَإِنَّ ضِدَّهُ يُحْدِثُ السَّآمَةَ وَالْمَلَلَ وَالْكَدَرَ، وَاسْتَعِنْ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْفِكْرِ الصَّحِيحِ وَالْمُشَاوَرَةِ، فَمَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَادْرُسْ مَا تُرِيدُ فِعْلَهُ دَرْسًا دَقِيقًا، فَإِذَا تَحَقَّقَتِ الْمَصْلَحَةُ وَعَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَسَائِلِ الْمُفِيدَةِ لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١٣-١١-٢٠١٣م.

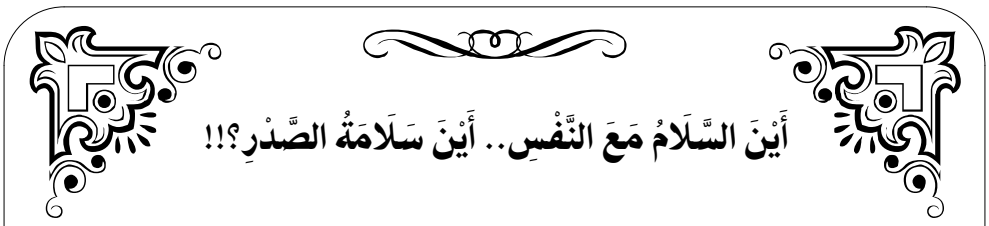

أَيْنَ السَّلَامُ مَعَ النَّفْسِ.. أَيْنَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ؟!!

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! سَلَامَةُ الصَّدْرِ أَيْنَ هِيَ؟!! أَيْنَ هِيَ؟!!

أَيْنَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ؟!!

وَأَيْنَ يَلْقَاهَا الْمَرْءُ؟!!

وَأَيْنَ تُوصَفُ؟!! فِي أَيِّ دُكَّانٍ مِنْ دَكَاكِينِ الْعَطَّارِينَ؟!!

الصَّبْرَ -عِبَادَ اللهِ- حَتَّىٰ يَشْتَرِيَ الْمَرْءُ مِنْهَا وَلَوْ دِرْهَمًا!!

إِنَّهَا هُنَاكَ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ أَنَّ كُلَّ مَا فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ، وَأَنَّنَا بِأَوْهَامِنَا الْهَزِيلَةِ، وَأَطْمَاعِنَا الْحَقِيرَةِ، وَدَوَافِعِنَا غَيْرِ النَّبِيلَةِ، وَأَنَّنَا بِمَا تَرَبَّيْنَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، وَبِكُلِّ مَا لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ الدِّينِ، بِكُلِّ انْتِفَاعَاتِنَا، بِكُلِّ انْحِرَافَاتِنَا، بِكُلِّ شَهَوَاتِنَا، بِكُلِّ انْطِلَاقِ غَرَائِزِنَا وَنَزَوَاتِنَا، بِكُلِّ عَجْزِنَا، بِكُلِّ قُصُورِنَا، بِكُلِّ الْتِصَاقِنَا بِالْأَرْضِ، بِكُلِّ عَجْزِنَا عَنْ الِارْتِفَاعِ فَوْقَ الطِّينِ، بِعَجْزِ الْأَجْنِحَةِ عَنِ التَّحْلِيقِ بَعِيدًا عَنِ الْحَمْأَةِ، بَعِيدًا عَنْ هَذَا الطِّينِ الَّذِي فِيهِ مَا فِيهِ مِنْ كُلِّ مَعَانِي التَّسَفُّلِ، وَفِيهِ مَا فِيهِ مِنْ كُلِّ مَعَانِي الْبُعْدِ عَنِ التَّرَفُّعِ، بِكُلِّ هَذَا الْعَجْزِ، بِكُلِّ هَذَا الْقُصُورِ لَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَخْلُصَ إِلَّا حِينًا بَعْدَ حِينٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَمُدُّ الْيَدَ

كَمَا قَالَ هُوَ ﷺ: «أَنَا -أَيْ: هُوَ ﷺ- أَقِفُ عَلَىٰ شَفِيرِ النَّارِ، -أَقِفُ عَلَىٰ فُوَّهَةِ النَّارِ- آخُذُ بِحُجَزِكُمْ -بِمَجَامِعِ الْأُزُرِ مِنْكُمْ-، آخُذُ بِحُجَزِكُمْ -يَعْنِي: بِمَجْمَعِ الْإِزَارِ مِنَ الْوَاحِدِ مِنْكُمْ- لِكَيْ أَرْفَعَهُ عَنِ التَّرَدِّي فِي الْهُوَّةِ السَّحِيقَةِ حَيْثُ لَا قَرَارَ؛ لِكَيْ يَرْتَفِعَ، لِكَيْ يَسْمُوَ، لِكَيْ يَكُونَ رَجُلًا، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانًا؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَقِفُ عَلَىٰ شَفِيرِ النَّارِ عَلَىٰ فُوَّهَتِهَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَأْبَوْنَ إِلَّا أَنْ تَتَفَلَّتُوا مِنِّي، تَتَهَافَتُونَ عَلَىٰ النَّارِ كَمَا يَتَهَافَتُ الْفَرَاشُ عَلَىٰ النَّارِ**»(١)، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

صُورَةٌ تَمَثَّلَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَشْرَفُ الْخَلْقِ طُرًّا.

مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْقُلُوبِ الَّتِي خُلِقَتْ وَتُخْلَقُ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

مُحَمَّدٌ ﷺ أَكْمَلُ مَنْ خَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

يَقِفُ عَلَىٰ فُوَّهَةِ النَّارِ هُنَاكَ يَأْخُذُ بِالْحُجَزِ، يَذُودُ وَيَدْفَعُ إِبِلًا ضَالَّةً هَائِمَةً تَأْبَىٰ إِلَّا أَنْ تُورَدَ الْمَوَارِدَ، وَإِلَّا أَنْ تَتَرَدَّىٰ فِي الرَّدْغَةِ وَفِي الْخَبَالِ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَهَا.. يَرْفَعَهَا فَوْقَ الشَّهَوَاتِ وَالنَّزَوَاتِ، وَتَأْبَىٰ إِلَّا أَنْ تَتَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْهِ ﷺ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الرِّقَاقِ: بَابُ الِانْتِهَاءِ عَنِ المَعَاصِي، (٦٤٨٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْفَضَائِلِ: بَابُ شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَىٰ أُمَّتِهِ...، (٢٢٨٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ**».

تَصَوَّرْهُ الْآنَ، تَصَوَّرْ نَبِيَّكَ ﷺ؛ كُلَّمَا ذَادَ وَاحِدًا جَاءَهُ وَاحِدٌ، يَدْفَعُ هَذَا فَيَتَفَلَّتُ مِنْهُ ذَاكَ، وَيَذُودُ ذَلِكَ فَيَتَفَلَّتُ مِنْهُ مِنْ هُنَالِكَ وَمِنْ هُنَاكَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَا يَصْنَعُ؟!! إِنَّهُ ﷺ قَدْ رَسَمَ الطَّرِيقَ وَوَضَّحَ الْمَحَجَّةَ، وَدَلَّنَا عَلَىٰ مَا بِهِ سَلَامَةُ الصُّدُورِ.

أَلَا يَا سَلَامَةَ الصَّدْرِ يَا سَلَامَةَ الصَّدْرِ أَيْنَ أَنْتِ؟!!

وَأَيْنَ أَلْقَاكِ؟!!

وَهَلْ عَسَىٰ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكِ لِقَاءٌ؛ لِقَاءٌ أَجْعَلُ فِيهِ رَأْسِي عَلَىٰ صَدْرِكِ أُحِبُّكِ وَإِنْ كَانَ قَلْبِي عِنْدَ قَدَمَيْكِ؟!!

يَا سَلَامَةَ الصَّدْرِ أَنَّىٰ تَكُونِينَ لِي وِسَادَةً فِي الْمَنَامِ، إِنَّمَا أَنْتِ خَيَالٌ فِي خَيَالٍ!!

يَا دُنْيَا النَّاسِ، وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلَاصَ فِي الْإِخْلَاصِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتَ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا، وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا.

اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صُدُورِنَا.

اللَّهُمَّ عَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتَ، وَعَامِلْنَا بِالْإِحْسَانِ؛ إِذِ الْإِحْسَانُ مِنْكَ وَإِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ، وَاسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ الْجَمِيلِ، وَاجْعَلْ تَحْتَ السِّتْرِ مَا يُرْضِيكَ.

اللَّهُمَّ اسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ الْجَمِيلِ، وَاجْعَلْ تَحْتَ السِّتْرِ مَا يُرْضِيكَ.

اللَّهُمَّ اسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ الْجَمِيلِ، وَاجْعَلْ تَحْتَ السِّتْرِ مَا يُرْضِيكَ.

اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِالِافْتِقَارِ إِلَيْكَ، وَلَا تُفْقِرْنَا بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْكَ.

اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِالِافْتِقَارِ إِلَيْكَ، وَلَا تُفْقِرْنَا بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْكَ، وَخُذْ بَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ أَخْذَ الْكِرَامِ عَلَيْكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا.

تُبْ عَلَيْنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا.

تُبْ عَلَيْنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا.

اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّوَكُّلِ إِلَّا عَلَيْكَ، وَمِنَ الِالْتِجَاءِ إِلَّا إِلَيْكَ، وَمِنَ الِاحْتِمَاءِ إِلَّا بِكَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ النِّفَاقِ.

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ، طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ، وَطَهِّرْ جَوَارِحَنَا مِنَ الرِّيَاءِ، وَطَهِّرْ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الْكَذِبِ، وَطَهِّرْ أَعْيُنَنَا مِنَ الْخِيَانَةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ، وَنَسْأَلُكَ كَمَالَ الْعَافِيَةِ، وَنَسْأَلُكَ دَوَامَ الْعَافِيَةِ، وَنَسْأَلُكَ تَمَامَ الْعَافِيَةِ، وَنَسْأَلُكَ دَوَامَ الْغِنَىٰ عَنِ النَّاسِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ.

يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، وَاكْتُبْ لَنَا الْبَرَاءَةَ مِنَ النَّارِ، وَأَعْتِقْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ بِكَرَمِكَ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ.

اللَّهُمَّ أَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ، أَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، وَاحْرُسْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَمِنْ فَوْقِنَا، وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.

اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ انْصُرِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ.

وَوَحِّدْ صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ.

وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ، وَاجْمَعِ الْجَمِيعَ عَلَىٰ طَاعَتِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَيْنَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ؟».

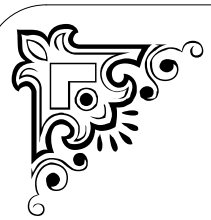

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

السَّلَامُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ ٤

الْإِسْلَامُ دِينُ السَّلَامِ ٩

السَّلَامُ مَعَ النَّفْسِ وَالْكَوْنِ كُلِّهِ ١٣

سُبُلُ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ ١٩

أَعْظَمُ السُّبُلِ إِلَىٰ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ ٢١

مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ٢٧

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: الصَّلَاةُ ٣٥

مِنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: ذِكْرُ اللهِ ٣٧

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: مَعْرِفَةُ الْغَايَةِ مِنَ الْخَلْقِ وَتَوْحِيدُ الْقَصْدِ ... ٣٩

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ ٤٤

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ ٤٧

مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: الرِّضَا بِرِزْقِ اللهِ ٥٠
مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ: عَدَمُ الْخَوْفِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ ٥٦
مِنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الدُّعَاءُ وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ..... ٥٨
مِنْ سُبُلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ السَّلَامِ مَعَ النَّفْسِ: الصَّدَقَاتُ..... ٦٢
مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ..... ٦٤
مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ مَعَ الْآخَرِينَ: سَلَامَةُ الْقَلْبِ لِلْمُسْلِمِينَ ٦٦
جُمْلَةٌ جَامِعَةٌ مِنْ سُبُلِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ النَّفْسِيِّ..... ٨٦
أَيْنَ السَّلَامُ مَعَ النَّفْسِ.. أَيْنَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ؟!!..... ٩٣
الْفِهْرِسُ ٩٩